

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)



معاني ألفاظ الحس في القرآن الكريم "جمعا ودراسة"(*)

د/ شاهه الطوير معيوف العنزي
أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية
جامعة تبوك – السعودية
Sh-alenazi@ut.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 5/5/2024 تاريخ قبوله للنشر 3/6/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

معاني ألفاظ الحس في القرآن الكريم "جمعا ودراسة"

د/ شاهه الطوير معيوف العنزي

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة تبوك – السعودية

الملخص

تناولت هذه الدراسة الحديث عن معاني ألفاظ الحس في القرآن الكريم – جمعا ودراسة – وبينت الدراسة أن البحث يتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة ومباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع فالمقدمة تشتمل من أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهداف البحث والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته، والتمهيد اشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث، ثم ذكرت الدراسة أربع مباحث حول معاني الحس في القرآن الكريم المبحث الأول بعنوان: الحس بمعنى الرؤية، المبحث الثاني بعنوان: الحس بمعنى القتل، والمبحث الثالث: بعنوان الحس بمعنى البحث، المبحث الرابع بعنوان: الحس بمعنى الصوت، وطوفت الدراسة حول هذه المعاني من خلال بيان المعاني اللغوية والأعرابية، والنكات البلاغية ومناسبة الآية بما قبلها، وفقه الآية والمعنى الإجمالي وذكرت الدراسة جملة من النتائج من أهمها: من ازداد علماً بالله لا يمكن أن يدب إليه اليأس مثقال ذرة، فإذا ضعف العلم بالله تبارك وتعالى يمكن أن يصل بعض اليأس إلى القلوب.

الكلمات المفتاحية: الحس، القرآن الكريم، الرؤية، القتل، البحث، الصوت، اليأس، القلوب.

Meanings of the words of the Qur’an in the Holy Qur’an "Friday and study"

Dr. Shah Al-Tawir Maouf Al-Anazi
Assistant Professor in the Department of Islamic Studies
University of Tabuk - Saudi Arabia

Abstract

The study dealt with the meanings of sense words in the Holy Qur’an - collection and study - and the study showed that the research consists of an introduction, a preface, four topics, a conclusion, and an index of sources and references. The introduction includes the importance of the topic, the reasons for choosing it, the objectives of the research and previous studies, the research method and plan, and the introduction included an introduction to the vocabulary of the title. The study then mentioned four sections on the meanings of sense in the Holy Qur’an, the first section entitled: Sense in the meaning of vision, the second section entitled: Sense in the meaning of killing, the third section: entitled Sense in the meaning of searching, the fourth section entitled: Sense in the meaning of sound, and the study revolved around these meanings. By explaining the linguistic and syntactic meanings, the rhetorical jokes, the suitability of the verse to what comes before it, the jurisprudence of the verse and the overall meaning, the study reported a number of results, the most important of which are: Whoever increases in knowledge of God cannot be despaired by even an iota’s weight, and if knowledge of God the Blessed and Most High is weak, some despair can reach him. To the hearts.

Keywords: sense, the Holy Qur’an, vision, killing, search, sound, despair, hearts.

مقدمة:

الحمد لله الذي أعطى بلا منة، وهو الهادي إلى سواء السبيل، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين، الحمد لله الذي أنعم علينا بحواسنا التي نعرفه بها ونهتدي بها الى طاعته وعبادته على أكمل وجه وأحسن صورة، فإن شعورنا بعظمته سبحانه وتعالى وكريم منه وعطائه وقدرته ﷻ هو الطريق الملهم لنا على الإخلاص له سبحانه، ومن عظيم نعمه سبحانه هدايتي الى موضوع الحس في القران الكريم ومعانيه وآياته التي ذكرت في كتابة حتى اتتبع هذه الآيات الكريمة بجمعها ومعرفة كل المعاني فيها والتي تتعلق بكلمة الحس، وتفسيرها وشرحها من مصادرها، فإن الحس نعمة من نعم الله تعالى التي تستحق الشكر والعمل بها لإدراك الغاية منها، فقد ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن البهائم بهذه الحواس التي يستعملها استعمالا مخالفا للبهائم، والتي تستخدم حواسها فقط للبقاء حية.

فالقران لم يهمل الحواس وجعلها من وسائل المعرفة وطرق تحصيل العلم، ومن العلم أن نكشف كل هذه المعاني في آيات الحس في القران الكريم وهي:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[(٣)].

حيث رأيت أن اكتب موضوعاً عن هذه المعاني بعد جمع الآيات الكريمة التي تكمن فيها هذه المعاني سائلة الله التوفيق والسداد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- أهمية معرفة معاني القران الكريم، حيث إن معرفة معاني الآيات تساعد على تدبر وفهم القران الكريم.

٢- شرف العلم من شرف المعلوم، وأي علم أشرف من تعلم مفردات كتابه ﷻ.

٣- التوسع في فهم النصوص القرآنية الكريمة وتفسيرها.

٤- الإسهام بتوسيع معلوماتي في تفسير آيات القران الكريم حيث إن أشرف علم هو تعلم كتاب الله.

٥- رغبتي في أن أنال شرف خدمة كتاب الله ﷻ، وأحظى ببركة صحبته وأنعم بحلاوة معايشته، فإن أجل ما يشغل به الباحث نفسه، وينفق فيه عمره وجهده ويكدح فيه خاطره، هو كتاب الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فهو أصدق الحديث، وأولاه بالتدبر.

الدراسات السابقة:

فإنه بعد البحث والتقصي. والاطلاع على قوائم الرسائل الجامعية تبين بأنه لا توجد هناك دراسة لها علاقة مباشرة بموضوع معاني ألفاظ الحس في القرآن الكريم –جمعا ودراسة –

---

(١) سورة آل عمران الآية: (٥٢).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٥٢).

(٣) سورة يوسف الآية: (٨٧).

أهداف البحث:

١- الاسهام بمعرفة معاني الحس في القران الكريم، حيث ان معرفتها تهدي الى تفسير الآيات وفهمها الفهم الصحيح.
٢- بيان ألفاظ الحس في ضوء آيات القرآن الكريم.
٣- استنباط الهدايات والفوائد من آيات الحس مع معرفة المعنى الإجمالي.

حدود البحث:

جميع الآيات التي ورد فيها لفظ (الحس) وهي أربع آيات.

منهج البحث:

قمت بعون الله ﷻ وتوفيقه في هذه الدراسة معتمداً على المناهج العلمية التي تخدم البحث في كافة جوانبه، وهي: المنهج الاستقرائي التحليلي، وقد استخدمته في جمع الآيات التي وردت فيها لفظ (الحس) في القران الكريم، وهي أربع آيات وقمت بتقسيم هذه المعاني على أربعة مباحث حيث قمت بشرح المعنى من كتب اللغة وما ذكره اهل العلم ومن ثم تفسير وتحليل الآية، وذكر أقوال أبرز المفسرين فيها وختامها بالاستنباطات من الآية الكريمة، وكذلك بعض المناهج العلمية الأخرى التي يقتضيها البحث.

وأما منهجي في البحث فهو كالآتي:

أ - قمت بعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بتخريج الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليلٌ كافٍ على صحته، وما لم يكن فيهما قمت بتخريجه مع ذكر الحكم عليه، مستعينةً بكلام الأئمة المحققين في ذلك.

ب - قمت بالرجوع إلى المصادرِ الأصيلةِ في التفسير وعلوم القرآن لجمعِ مادةِ البحث وتوثيقِه، من أجلِ تأصيلِ هذا الموضوع المهم، والرجوع به إلى مصادره الأصيلة.

ج - التزمت الأمانة العلمية حيث نسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكر في الهامش اسم الكتاب، ومؤلفه، والمترجم والمحقق إن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة، وعند عدم وجودها أذكر كلمة "بدون". وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصارا قلت باختصار وهكذا.

د- استوفيت توثيق المرجع في فهرس المصادر والمراجع في نهاية، البحث، وعند ذكره في ثنايا البحث اكتفي بذكر: اسم الكتاب، والمؤلف، ورقم الصفحة والجزء.

هـ- ذيلتُ بحثي بالخاتمة، وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها ثم فهرس المصادر والمراجع.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهارس علمية.

المقدمة، وفيها: أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وأهدافه، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث، وهي على النحو الآتي:

التمهيد: ويشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: الحس بمعنى الرؤية.

المبحث الثاني: الحس بمعنى القتل.

المبحث الثالث: الحس بمعنى البحث.

المبحث الرابع: الحس بمعنى الصوت.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج ثم الفهارس.

تمهيد: ويشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث.

١- تعريف المعاني في اللغة والاصطلاح:

أ- المعاني في اللغة:

جمع (معنى) من "عَنَى يعنِي، تقول: عَنَيت بالقول كذا، أي أردت وقصدت. وتقول: عرفتُ ذلك في مَعنَى كلامه أي فحواه"(١)، فالمعنى هو ما يظهر من اللفظ، أو من ظاهر اللفظ(٢)، "ظُهُورُ شَيْءٍ وَبُرُوزُهُ ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَعْنَى الشَّيْءِ ... وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قِيَاسُ اللُّغَةِ أَنَّ المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بحث عنه. يقال: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر، أي الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ"(٣).

من خلال ما سبق: يمكن القول: إن المعاني في اللغة تطلق ويراد بها الارادة والقصد وظهور الشيء.

ب- المعاني في الاصطلاح:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للمعاني عن المعنى اللغوي فكلاهما يدوران حول المراد من اللفظ وما يقصده وما يتضمنه في مضمونه فالمعنى: إظهار ما تضمنه اللفظ. من قولهم: عنت الأرض بالنبات: أظهرته حسنا"(٤)، وروى الأزهري عن ثعلب قال: "المعنى والتفسير والتأويل واحد"(٥).

والمعاني في اصطلاح البيانيين:

"أصولٌ وقوَاعِد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مُطابقاً لِمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغَرَضِ الذي سيقَ له، وفائدته: معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصّة الله به من جودة السبّك، وحُسن الوصف، وبَراعة التَّراكيب ولُطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سُهولة الترّكيب، وجزالة كلماتها وعُذوبة ألفاظه وسلامتها - إلى غير ذلك من محاسنه التي اقعدت العرب عن مناهضته، وحارتَ عقولهُم أمام فصاحته وبلاغته"(٦).

٢- تعريف الألفاظ في اللغة والاصطلاح:

أ- تعريف اللفظ في اللغة:

جاء في منتخب الصحاح: الدلالة العامة للمادة (لفظ) وهي (الرمي من الفم): لفظت الشيء من فمي الفظه لفظاً، رميته ثم يعدّد الدلالة المخصصة إذ يكون الملفوظ من الفم كلاماً: لفظت بالكلام وتلفظت به أي تكلمت به، وبعدها يعين المفردة بانها «اللفظ جمعها الألفاظ»(٧) أما ابن فارس في المقاييس فهو يقول أن مادة لفظ تعني الدلالة علي الطرح المطلق، ثم هي يغلب عليها أن تكون من الفم ثم يخصص الفعل، فتقول: «لفظ الكلام يلفظ لفظاً» وبعدها يورد واحداً من المشتقات، وما يحتمله من دلالات «اللافظة: فهو الديك (لصوته وللرحى لطرح الحبوب المطحونة) والبحر (لإخراجه أشياء كثيرة من جوفه)(٨)، يأتي الأزهري في التهذيب بدلالة الرمي من الفم

(١) الصحاح للجوهري (٦: ٢٤٤٠).
(٢) الكليات للكفوي (ص: ٨٤٢).
(٣) معجم مقاييس اللغة (٤: ١٤٦-١٤٩).
(٤) المفردات (ص: ٥٩١).
(٥) تهذيب اللغة (٣: ١٣٥).
(٦) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: ٤٧).
(٧) ينظر: منتخب من صحاح الجوهري (ص: ٤٧٠٦).
(٨) ينظر مقاييس اللغة (٥/٢٥٩).

علي أنها الأولى فاللفظ هو أن ترمي بشيء كان في فيك، والفعل لفظ يلفظ لفظاً، ثم يخصّص المادة بالكلمات واللفظ للفظ الكلام، بعد ذلك يورد عبارة كنائية هي (لفظ فلان عصبه) إذا مات وعصبه؛ ريقه الذي عصب بفيه أي غري به فيبس، يظهر لنا من خلال ما مرت في بيان اللفظ انه ايسرُ شيء للتعبير عما في صدر الإنسان من المعاني والأغراض ومثل اللفظ – عندنا – مثل مركب يسير براكبه للوصول إلي المقصد المنشود وتزيد أهمية اللفظ عند ما نتذكر بانّ المتكلم بإمكانه أن يستخدم عدة أنواع من التعابير لمطلب واحد أو عدة مطالب في تعبير واحد، فأذن علينا أن نأخذ اللفظ وملابساته ودراسته بعين الاعتبار[١].

من خلال ما سبق يمكن القول: إن الألفاظ في الاشتقاق اللغوي تطلق ويراد بها الكلام وما يتلفظ به، وما يراد به التعبير وما يحمله الكلام من دلالات.

ب – تعريف اللفظ في اللغة:

"هي كلام يدل على معنى يثبت بالنقل فلا يصح نسبة معنى إلى لفظ لم يثبت أن العرب قد قالت به"[٢]، "فاللفظُ هو ما يلفظه الإنسانُ ويخرج به الإشارات والرقوم، وخرج بالثاني المهمل"[٣].

٣– تعريف الحس في اللغة والاصطلاح:

أ– تعريف الحس في اللغة

من حس بالشيء يحس حساً شعر به، ويقال: حَسَسْتُ بالشيء إذا وجدته وأبصرته وعلمته وعرفته وأيقنت به، والحس والحسيس الصوت الخفي[٤]، الحِسُّ هو الصوت الخفيُّ، وهو أول العلم المدرك بحاسته، تقول: أحسستُ بالخبر، وحسستُ الخبر: أيقنتُ به، والشيء: رأيتُه وعلِمتُه، أو سمعتُ حركته؛ "والإحساس العِلم بالحواس، وهي مشاعر الإنسان، كالعين، والأذن، والأنف، واللسان، واليد، وحواس الإنسان: المشاعر الخمسة، وهي: الطعم، والشم، والبصر، والسمع، واللمس"[٥].

من خلال ما سبق يمكن القول: إن الحس في اللغة يطلق ويراد به الشعور، والصوت الخفي، ومشاعر الإنسان.

ب – تعريف الحس في الاصطلاح:

قال الإمام الجرجاني في تعريفه للحس: "هو القوة التي ترتسم فيها صورة الجزئيات المحسوسة"[٦]، وأما الحاسة فهي: "القوة التي بها تدرك العوارض الجسمية"[٧].

والإحساس: هُوَ إِدْرَاك الشَّيْء مكتنفا بالعوارض الغريبة واللواحق المادية مَعَ حُضُور الْمَادَّة وَنسبَة خَاصَّة بَينهمَا وَبَين الْمدْرك، والإحساس: للحواس الظَّاهِرَة، كَمَا أَن الْإِدْرَاك للحس الْمُشْتَرك أَو الْعقل[٨]، وقد عرف ابن

(١) ينظر تهذيب اللغة (٢٧٤/١٤).
(٢) أرشيف ملتقى أهل الحديث – ٣ (٨٤/٨١).
(٣) نهاية الوصول إلى علم الأصول: ١٤٥/١.
(٤) ينظر: لسان العرب ١٧٠–١٧١ – مادة حسس – القاموس المحيط للفيروزأبادي ٢٠٧/٢.
(٥) ينظر لسان العرب (٤٩/٦). تهذيب اللغة (٢٦٤/٣).
(٦) التعريفات، علي الجرجاني، ص ١١٧.
(٧) التعاريف، محمد الميناوي، ص ٢٧٨، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، سنة ١٤١٠هـ.
(٨) الكليات (ص: ٥٤).

الأثير الجزري الإحساس بقوله: "الإحساس العلم بالحواس، وهي مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنف واللسان واليد، وحواس الإنسان المشاعر الخمس وهي: الطعم والشم والبصر والسمع واللمس"(١).

وقد جاء تفسير الحس في القرآن الكريم على أربعة وجوه:

"**الوجه الأول**: أحسَّ يعني رأى فذلك قوله في آل عمران ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ {آل عمران:٥٢}، وكقوله في مريم: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ {مريم: ٩٨}.

والوجه الثاني: الحَسُّ يعني القتل، فذلك قوله في آل عمران: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾ {آل عمران: ١٥٢} يعني تقتلونهم، **والوجه الثالث**: الحسُّ يعني البحث. **والوجه الرابع**: الحسُّ يعني الصوت"(٢)، وهذا هو موضوع الدراسة.

المبحث الأول: الحس بمعنى الرؤية.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٣).

أولاً: المعاني اللغوية والأعرابية:

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ "الفاء عاطفة على محذوف تقديره فكذبوه، لأنه قول مرتب على هذا المحذوف. ويجوز أن تعرب استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة، وجملة أحس عيسى في محل جر بإضافة الظرف إليه، أو لا محل لها إذا أعربناها رابطة. وأحس فعل ماض وعيسى فاعل ومنهم جار ومجرور متعلقان بأحس والكفر مفعول به ويجوز أن يتعلقا بمحذوف حال من الكفر أي حال كونه صادرا منهم"(٤).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ أي "فلما وجد عيسى منهم الكفر، والإحساس: هو الوجود، وقال مقاتل: فلما رأى من بني إسرائيل الكفر، كقوله ﷻ: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾(٥)، يعني هل ترى؟(٦)، "والضمير في منهم لبني إسرائيل"(٧)، «ومنهم» متعلق بأحس، وضمير منهم عائد إلى معلوم من المقام يفسره وصف الكفر(٨)، والحس أيضا: العطف والرقة، ومنه قول الكميت:

هل من بكى الدار راج أن تحس له ... أو يبكي الدار ماء العبرة الخضل

يعني بقوله: أن تحس له: أن ترق له(٩).

---

(١) لسان العرب ١٧٠/٣.

(٢) الأشباه والنظائر ص١٣٤-١٣٥ وباسم الوجوه والنظائر ص٣٩-٤٠ وينظر: الوجوه والنظائر لهرون ص٨٢ ونزهة الأعين ص٩٦-٩٧.

(٣) سورة آل عمران الآية: (٥٢).

(٤) إعراب القرآن وبيانه (٥١٨/١).

(٥) سورة مريم جزء الآية: (٩٨).

(٦) تفسير السمرقندي - (٢١٦/١).

(٧) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٤٢/١)

(٨) التحرير والتنوير (٢٥٥/٣).

(٩) الْمُهَذَّبُ النَّقِيّ الْجَامِعُ لِتَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيّ -(٢٨٨/٢) - الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٧٥/٣)، تفسير البغوي - إحياء التراث (٤٤٣/١).

"لأنَّ هذا من "أَحَسَّ" "يُحِسُّ" "إِحْساساً"(اذ) ذلك من "حَسَّ" "يَحُسُّ" "حَسَّاً" وهو في غير معناه لأن معنى "حَسَسْتُ" قتلت. و"أَحْسَسْتُ" هو: ظَنَنْتُ"(١)، ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ جملة قال لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم وهو لما ومن اسم استفهام مبتدأ وأنصاري خبره وإلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الياء في أنصاري، والمعنى من أنصاري حال كوني ماضيا إلى سبيل الله شارعا في المناضلة عنه ونصرته؟(٢).

﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيه ثلاثة أقاويل: "أحدها: يعني من أنصاري مع الله. والثاني: معناه من أنصاري في السبيل إلى الله، وهذا قول الحسن. والثالث: معناه من ينصرني إلى نصر الله. وواحد الأنصار نصير"(٣)، ومعنى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ جاءَ في التفسير من أنْصاري مع اللَّه، و(إلى) ههنا إنما قاربت (مع) معنى بأن صار اللفظ لو عبر عنه بـ "مع" أفاد مثل هذا المعنى، لا أنَ (إلى) في معنى"مع" لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجز ذهب زيد مع عمرو؛ لأن (إلى) غاية و"مع" تضم الشيءَ إلى الشيءِ فالمعنى: يضيف نصرته إياي إلى نصرة اللَّه. وقولهم إنَّ، (إلى) في معنى (معَ) ليس بِشيءٍ. والحروف قد تقاربت في الفائدة، فَيَظن الضعيف العِلم باللغة أن معناهما واحد(٤).

وقوله: "قال من أنصاري إلى الله لعله قاله في ملإ بني إسرائيل إبلاغا للدعوة، وقطعا للمعذرة. والنصر يشمل إعلان الدين والدعوة إليه. ووصل وصف أنصاري إلى إما على تضمين صفة أنصار معنى الضم أي من ضامون نصرهم إياي إلى نصر الله إياي، الذي وعدني به إذ لا بد لحصول النصر من تحصيل سببه كما هي سنة الله: قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾(٥) على نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾(٦) أي ضامينها فهو ظرف لغو، وإما على جعله حالا من ياء المتكلم والمعنى في حال ذهابي إلى الله، أي إلى تبليغ شريعته، فيكون المجرور ظرفا مستقرا. وعلى كلا الوجهين فالكون الذي اقتضاه المجرور هو كون من أحوال عيسى عليه السلام ولذلك لم يأت الحواريون بمثله في قولهم نحن أنصار الله"(٧).

﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الجواب على استفهامه. وقال الحواريون فعل وفاعل وجملة نحن أنصار الله من المبتدأ والخبر مقول القول(٨).

والحواريون: "لقب لأصحاب عيسىﷺ: الذين آمنوا به ولازموه، وهو اسم معرب من النبطية ومفرده حواري وقد أكثر المفسرون وأهل اللغة في احتمالات اشتقاقه واختلاف معناه وكل ذلك إلصاق بالكلمات التي فيها حروف الحاء والواو والراء لا يصح منه شيء"(٩).

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ "آمنا فعل وفاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا والجملة خبر ثان لنحن ﴿وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ "الواو استئنافية واشهد فعل أمر وبأنا الباء حرف جر وأن واسمها، ومسلمون خبرها. وأن وما في

(١) معاني القرآن للأخفش – أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)– (٢٢١/١).
(٢) إعراب القرآن وبيانه (٥١٨/١).
(٣) النكت والعيون (٣٩٥/١).
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤١٦/١).
(٥) سورة محمد الآية: (٧).
(٦) سورة النساء الآية: (٢).
(٧) التحرير والتنوير (٢٥٥/٣).
(٨) إعراب القرآن وبيانه (٥١٨/١).
(٩) إعراب القرآن وبيانه (٥١٧/١)، التحرير والتنوير (٢٥٥/٣).



حيزها مصدر في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بأشهد، وهذا أحسن من جعلها عاطفة لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر، وهو مرجوح، وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم"(١).

والمعنى: فلما استشعر عيسى منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال، قال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي: من يَتْبعني إلى الله؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾، أعوان دين الله ورسوله، ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾؛ واشهد يا عيسى بأنَّا مسلمون، منقادون لما تريد منا من نُصرتك. وإنما طلبوا شهادته له بإسلامهم تأكيدًا لإيمانهم؛ لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم، وعليهم(٢).

قال ابن كثير -رحمه الله -: "والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله، كما كان النبي-ﷺ- يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر: مَن رجلٌ يؤويني على أن أبلّغ كلام ربي، فإنَّ قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي حتى وجد الأنصار فآووه ونصروه، وهاجر إليهم فآسوه ومنعوه من الأسود والأحمر، وهكذا عيسى ابن مريم، انتدب له طائفة من بني إسرائيل، فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه"(٣).

ثانياً: القراءات الواردة في الآية:

الحواريون:

١- بتشديد الياء، وهي قراءة الجمهور.

٢- بتخفيف الياء، وهي قراءة إبراهيم النخعي، وأبي بكر الثقفي(٤).

ثالثاً: النكات البلاغية في الآية:

١- "فلما أحس استعارة، إذ الكفر ليس بمحسوس وإنما يعلم ويفطن به"(٥).

٢- لما شعر نبي الله عيسى عليه السلام "من قومه بنى إسرائيل بالإصرار على الكفر والعناد وقصد الإيذاء، فقد صح أنه لقى من اليهود شدائد كثيرة، فقد كانوا يجتمعون عليه ويستهزئون به ويقولون له يا عيسى: ما أكل فلان البارحة، وما ادخر في بيته لغد؟ فيخبرهم فيسخرون منه حتى طال ذلك به وبهم. وهموا بقتله فخافهم واختفى عنهم، وخرج هو وأمه يسيحان في الأرض، **وفي هذا عبرة وتسلية للنبي ﷺ** وبيان؛ لأن الآيات الكونية مهما كثرت لا تفضى إلى الإيمان إلا إذا كان للمدعو استعداد للقبول، ومن الداعي حسن بيان وحين رأى منهم ذلك"(٦).

٣- لم يبين الله ﷻ في هذه الآية الكريمة "الحكمة في ذكر قصة الحواريين مع عيسى، ولكنه بين في سورة «الصف» أن حكمة ذكر قصتهم هي أن تتأسى بهم أمة محمد ﷺ في نصرة الله ودينه، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾(٧)"(٨).

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (٥١٩/١)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤١٦/١)

(٢) الكشاف للزمخشري (٣٦٦/١)، معالم التنزيل للبغوي (٤٤٥/١)، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (٢٦٣/٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥/٢).

(٤) الموسوعة القرآنية (١٣٩/٥).

(٥) التفسير المنير للزحيلي (٢٣٧/٣).

(٦) تفسير المراغي (١٦٧/٣). التفسير الواضح (٢٣٦/١).

(٧) سورة الصف الآية: (١٤).

(٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٠١/١).

٤- هذه الآية تمدح "الحواريين وفي أنهم قوم التفوا حول عيسى- عليه السلام- وناصروه مناصرة صادقة، وآمنوا به إيمانا سليما من الشك والتردد"(١).

رابعاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بين الله في الآيات السابقة، ما يؤكد رسالة عيسى عليه السلام، ويدعو إلى تصديقه والإيمان بنبوته، عقَّبها بتلك الآيات التي أوضح فيها: كفر بني إسرائيل ومكرهم به، وإنجاء الله له من مكرهم، ووقوف أهل الحق معه، وسائر قَصصِهِ الحق الذي زيفه أهل الكتاب. فقال جل ثناؤه:

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ... ﴾(٢) الآية.

خامساً فقه الآية:

١- لما وَجد نبي الله عيسى عليه السلام — "من بني إسرائيل الذين أرسله الله إليهم - جحودًا لنبوّته، وتكذيبًا لقوله، وصدًّا عما دعاهم إليه من أمر الله، قال: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ يعني بذلك: قال عيسى: من أعواني على المكذبين بحجة الله، والمولِّين عن دينه، والجاحدين نبوة نبيه، "إلى الله" عز وجل؟ ويعني بقوله: "إلى الله"، مع الله، وإنما حَسُن أن يقال: "إلى الله"، بمعنى: مع الله؛ لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره، ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر إذا ضم إليه، جعلوا مكان "مع"، "إلى" أحيانًا، وأحيانًا تخبر عنهما بـ"مع" فتقول: "الذود إلى الذود إبل(٣)"، بمعنى: إذا ضممتَ الذود إلى الذود صارت إبلا. فأما إذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بـ"إلى"، ولم يجعلوا مكان "مع" "إلى". غيرُ جائز أن يقال: "قدم فلانٌ وإليه مالٌ"، بمعنى: ومعه مال(٤).

٢- الحواريون: هم أتباع عيسى —عليه السلام—، وقد اختلف أهل التأويل في سبب تسميتهم "الحواريين"، فقال بعضهم: سموا بذلك لبياض ثيابهم. وقال آخرون: سموا بذلك؛ لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب. وقال آخرون: هم خاصة الأنبياء وصفوتهم. وقد رجَّح الإمام الطبري القول الأول(٥).

وأما الإمام ابن كثير فقد رجَّح أنهم سمُّوا حواريين؛ لأنهم آمنوا بعيسى —عليه السلام— ونصره، فقال: "الحواريون، قيل: كانوا قصَّارين، وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وقيل: صيَّادين. والصحيح أن الحواري هو الناصر"(٦).

والذي أميل إليه: هو ما رجَّحه الإمام ابن كثير، والدليل على ذلك: ما روي عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، قال: ندب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الناس يوم الخندق، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إنَّ لكل نبيٍّ حواريًّا وحواريَّ الزبير)(٧). وحواريوا الأنبياء هم خلصاؤهم، وخلصاؤهم أنصارهم.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٣٤٥/٤).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٣٢٦/٤)، التفسير الوسيط - مجمع البحوث (٥٧٤/١)، زهرة التفاسير (١٢٣٥/٣).

(٣) الذود إلى الذود إبل: قال ابن الأعرابي: الذَّوْد لا يُوَحَّد، وقد يجمع أذودا، وهو اسم مؤنث يقع على قليل الإبل ولا يقع على الكثير، وهو ما بين الثلاث إلى العشر إلى العشرين إلى الثلاثين ولا يجاوز ذلك، يضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدي إلى الكثير. مجمع الأمثال (٢٧٧/١).

(٤) جامع البيان ت شاكر (٤٤٣/٦)، تفسير البغوي - طيبة (٤٢/٢).

(٥) جامع البيان للطبري (٤٤٥/٦). عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٤٦٠/١).

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٦/٢)، تأويلات أهل السنة (٣٧٩/٢)،

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير- باب السير وحده- (٥٧/٤)، (٢٩٩٧)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة- باب من فضائل طلحة، والزبير —رضي الله عنهما—، (١٨٧٩/٤)، (٢٤١٥).

"وقد آمن مع الحواريين أفراد متفرقون من اليهود، مثل الذين شفى المسيح مرضاهم، وآمن به من النساء أمه عليها السلام"(١).

٣- وقوله: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ إن الله يتعالى عن أن يُنصَر، ولكن يحتمل ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾، أي: أنصار دين الله، أو أنصار نبيه، أو أنصار أوليائه؛ تعظيمًا، وكذلك قوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾(٢): إن الله لا يُنْصَرُ؛ ولكن يُنْصرُ دِينُهُ أو رسلُهُ أو أولياؤه؛ وهو كقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾(٣): إن الله لا يُخَادَعُ، ولا يمكر، ولكن لما خادعوا أولياءه أو دينه، أضاف ذلك إلى نفسه؛ فعلى ذلك لما نصروا دين الله ونبيه ووليّه، أضاف ذلك إلى نفسه(٤).

٤- أما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين، فإن بين أهل العلم فيه اختلافًا.

فقال بعضهم: كان سبب ذلك ما: حدثني به موسى بن هارون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: لما بعث الله عيسى، فأمره بالدعوة، نفتْه بنو إسرائيل وأخرجوه، فخرج هو وأمُّه يسيحون في الأرض، فنزل في قرية على رجل فضافَهم وأحسن إليهم، وكان لتلك المدينة ملك جبارٌ معتدٍ، فجاء ذلك الرجل يومًا وقد وقعَ عليه همٌّ وحزن، فدخل منزله ومريم عند امرأته. فقالت مريم لها: ما شأن زوجك؟ أراه حزينًا! قالت: لا تسألي! قالت: أخبريني! لعل الله يُفرّج كربته! قالت: فإن لنا ملكًا يجعل على كلّ رجل منا يومًا يُطعمه هو وجنودَه ويسقيهم من الخمر، فإن لم يفعل عاقبه، وإنه قد بلغت نَوبتُه اليوم الذي يريد أن نصنع له فيه، وليس لذلك عندنا سعة! قالت: فقولي له لا يهتم، فإني آمر ابني فيدعُو له، فيُكْفَي ذلك. قالت مريم لعيسى في ذلك، قال عيسى: يا أمَّهْ، إني إن فعلت كان في ذلك شرٌّ. قالت: فلا تُبالِ، فإنه قد أحسنَ إلينا وأكرمنا! قال عيسى: فقولي له: إذا اقترب ذلك، فاملأ قُدُورك وخوَابيك ماء، ثم أعلمني، قال: فلما ملأهنَّ أعلمه، فدعا الله، فتحوَّل ما في القدُور لحمًا ومَرَقًا وخبزًا، وما في الخوابي خمرًا لم ير الناس مثله قطّ وإياه طعامًا فلما جاء الملك أكل، فلما شرب الخمرَ سأل: من أين هذه الخمر؟ قال له: هي من أرض كذا وكذا. قال الملك: فإنّ خمري أوتَى بها من تلك الأرض، فليس هي مثل هذه! قال: هي من أرض أخرى. فلما خلَّط على الملك اشتدّ عليه، قال: فأنا أخبرك، عندي غلام لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وإنه دعا اللهَ، فجعل الماءَ خمرًا. قال الملك = وكان له ابنٌ يريد أن يستخلفه، فمات قبل ذلك بأيام، وكان أحب الخلق إليه فقال: إن رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرًا، ليُستجابَنّ له حتى يُحييَ ابني! فدعا عيسى عليه السلام فكلمه، فسأله أن يدعو الله فيحيي ابنه، فقال عيسى عليه السلام: لا تفعلْ، فإنه إن عاش كان شرًا. فقال الملك: لا أبالي، أليس أراه، فلا أبالي ما كان. فقال عيسى عليه السلام: فإن أحييته تتركوني أنا وأمي نذهب أينما شئنا؟ قال الملك: نعم. فدعا الله فعاش الغلام. فلما رآه أهل مملكته قد عاش، تنادَوْا بالسلاح وقالوا: أكلنا هذا، حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه، فيأكلنا كما أكلنا أبوه!! فاقتتلوا، وذهب عيسى وأمُّه، وصحبهما يهودي، وكان مع اليهودي رغيفان، ومع عيسى رغيف، فقال له عيسى: شاركني. فقال اليهودي: نعم. فلما رأى أنه ليس مع عيسى عليه السلام إلا رغيف ندم، فلما ناما جعل اليهوديّ يريد أن يأكلَ الرغيف، فلما أكل لقمة قال له عيسى عليه السلام: ما تصنع؟ فيقول: لا شيء! فيطرحها، حتى فرغ من الرغيف كله. فلما أصبحا قال له

---

(١) التحرير والتنوير (٣/٢٥٦).

(٢) سورة محمد الآية: (٧).

(٣) سورة البقرة الآية: (٩).

(٤) التحرير والتنوير (٣/٢٥٦)

عيسى عليه السلام: هلمَّ طعامك! فجاء برغيف، فقال له عيسى عليه السلام: أين الرغيف الآخر؟ قال: ما كان معي إلا واحد. فسكت عنه عيسى، فانطلقوا، فمروا براعي غنم، فنادى عيسى عليه السلام: يا صاحب الغنم، أجزرْنا شاةً من غنمك قال: نعم، أرسل صاحبك يأخذها. فأرسل عيسى اليهوديّ، فجاء بالشاة فذبحوها وشوَوْها، ثم قال لليهودي: كل، ولا تكسِرنّ عظمًا. فأكلا[١]، فلما شبعوا، قذفَ عيسى عليه السلام العظام في الجلد، ثم ضربها بعصاه وقال: قومي بإذن الله! فقامت الشاة تَثغُو، فقال: يا صاحبَ الغنم، خذ شاتك. فقال له الراعي: من أنتَ؟ فقال: أنا عيسى ابن مريم، قال: أنت الساحر! وفرّ منه. قال: عيسى لليهودي: بالذي أحيى هذه الشاة بعدَما أكلناها، كم كان معك رغيفًا؟ فحلف كان معه إلا رغيف واحد، فمرُّوا بصاحب بَقر، فنادى عيسى فقال: يا صاحب البقر، أجزرنا من بَقرك هذه عجلا، قال: ابعث صاحبك يأخذه، قال: انطلق يا يهوديّ فجئ به، فانطلق فجاءَ به. فذبحه وشواه وصاحبُ البقر ينظر، فقال له عيسى عليه السلام: كلْ ولا تكسِرَن عظمًا. فلما فرغوا، قذف العظام في الجلد ثم ضربه بعصاه، وقال: قم بإذن الله. فقام وله خُوَارٌ، قال: خُذ عجلك. قال: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى. قال: أنت السحَّار! ثم فر منه. قال اليهودي: يا عيسى أحييته بعد ما أكلناه! قالَ عيسى: فبالذي أحيَ الشاة بعد ما أكلناها، والعجلَ بعد ما أكلناه، كم كان معك رغيفًا؟ فحلف بالله ما كان معه إلا رغيف واحد. فانطلقا، حتى نزلا قريةً، فنزل اليهودي أعلاها وعيسى في أسفلها، وأخذ اليهودي عَصا مثل عصا عيسى وقال: أنا الآنَ أحيي الموتى! وكان ملك تلك المدينة مريضًا شديد المرض، فانطلق اليهودي يُنادي: من يبتغي طبيبًا؟ حتى أتى ملك تلك القرية، فأخبر بوجعه، فقال: أدخلوني عليه فأنا أبرئه، وإن رأيتموه قد مات فأنا أحييه. فقيل له: إن وجع الملك قد أعيَى الأطباء قبلك، ليس من طبيب يُداويه ولا يُفيء دواؤه شيئًا إلا أمر به فصلب[٢]، قال: أدخلوني عليه، فإني سأبرئه. فأدخل عليه فأخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات، فجعل يضربه بعصاه وهو ميت ويقول: قُم بإذن الله! فأخذ ليُصْلب، فبلغ عيسى، فأقبل إليه وقد رفع على الخشبة، فقال: أرأيتم إن أحييت لكم صاحبكم، أتتركون لي صاحبي؟ قالوا: نعم. فأحيى اللهُ الملكَ لعيسى، فقام وأنزل اليهودي فقال: يا عيسى أنتَ أعظم الناس عليّ منةً، والله لا أفارقك أبدًا. قال عيسى عليه السلام فيما حدثنا به محمد بن الحسين بن موسى قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي لليهودي: أنشُدك بالذي أحيى الشاة والعجلَ بعد ما أكلناهما، وأحيى هذا بعد ما مات، وأنزلك من الجِذْع بعد ما رُفعت عليه لتصلب، كم كان معك رغيفًا؟ قال: فحلف بهذا كله ما كان معه إلا رغيف واحد، قال: لا بأس! فانطلقا، حتى مرّا على كنز قد حفرته السباع والدواب، فقال اليهودي: يا عيسى، لمن هذا المال؟ قال عيسى عليه السلام: دعه، فإنّ له أهلا يهلكون عليه. فجعلت نفسُ اليهودي تَطلَّعُ إلى المال، ويكره أن يعصي عيسى، فانطلق مع عيسى عليه السلام. ومرّ بالمال أربعة نَفر، فلما رأوه اجتمعوا عليه، فقال: اثنان لصاحبيهما: انطلقا فابتاعا لنا طعامًا وشرابًا ودوابَّ نحملُ عليها هذا المال. فانطلق الرجلان فابتاعا دوابّ وطعامًا وشرابًا، وقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن نجعل لصاحبينا في طعامهما سَمًّا، فإذا أكلا ماتا، فكان المال بيني وبينك، فقال الآخر: نعم! ففعلا. وقال الآخران: إذا ما أتيانا بالطعام، فليقم كل واحد إلى صاحبه فيقتله، فيكون الطعامُ والدوابّ بيني وبينك. فلما جاءا بطعامهما قاما فقتلاهما، ثم قعدا على الطعام

---

(١) خالف بين الضمائر، فقال "فأكلا" يعني عيسى وصاحبه، ثم قال: "فلما شبعوا"، يعني عيسى وصاحبه وأمه مريم عليهما السلام. وهذا سياق لا بأس به في مجاز العربية- ينظر: جامع البيان ت شاكر (٦/٤٤٥).

(٢) أفا يفيء: رد وأرجع. يعني: لا يرد عليه عافيته.

فأكلا منه، فماتا. وأعْلِم ذلك عيسىﷺ فقال لليهودي: أخرجه حتى نقتسمه، فأخرجه، فقسمه عيسىﷺ بين ثلاثة، فقال اليهودي: يا عيسى، اتق الله ولا تظلمني، فإنما هو أنا وأنت!! وما هذه الثلاثة؟ قال له عيسىﷺ: هذا لي، وهذا لك، وهذا الثلث لصاحب الرغيف. قال اليهودي: فإن أخبرتك بصاحب الرغيف، تعطيني هذا المال؟ فقال عيسىﷺ: نعم. قال: أنا هو. قال: عيسىﷺ: خذ حظي وحظَّك وحظَّ صاحب الرغيف، فهو حظك من الدنيا والآخرة. فلما حمله مَشى به شيئًا، فخُسِف به[1]، وانطلق عيسى ابن مريم، فمر بالحواريّين وهم يصطادون السمك، فقال: ما تصنعون؟ فقالوا: نصطاد السمك. فقال: أفلا تمشون حتى نصطادَ الناس؟ قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عيسى ابن مريم، فآمنوا به وانطلقوا معه. فذلك قول الله ﷻ: "مَنْ أنصاري إلى الله قال الحواريون نحنُ أنصارُ الله أمنا بالله واشهدْ بأنا مسلمون"[2]، وحدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي، عن عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ الآية قال: استنصر فنصرَه الحواريون، وظهر عليهم[3].

سادساً: المعنى الاجمالي للآية:

إنه تعالى لما حكى بشارة مريم بولد مثل عيسى واستقصى في بيان صفاته وشرح معجزاته وترك هاهنا قصة ولادته، وقد ذكرها في سورة مريم على الاستقصاء، شرع في بيان أن عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات، وأظهر لهم تلك الدلائل فهم بماذا عاملوه فقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: الإحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة وهاهنا وجهان أحدهما: أن يجرى اللفظ على ظاهره، وهو أنهم تكلموا بالكفر، فأحس ذلك بأذنه والثاني: أن نحمله على التأويل، وهو أن المراد أنه عرف منهم إصرارهم على الكفر، وعزمهم على قتله، ولما كان ذلك العلم علما لا شبهة فيه، مثل العلم الحاصل من الحواس، لا جرم عبر عن ذلك العلم الإحساس.

المسألة الثانية: اختلفوا في السبب الذي به ظهر كفرهم على وجوه:

القول الأول: قال السدي: إنه تعالى لما بعثه رسولا إلى بني إسرائيل جاءهم ودعاهم إلى دين الله فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم، وكان أمر عيسى ﷺ في قومه كأمر محمد ﷺ وهو بمكة فكان مستضعفا، وكان يختفي من بني إسرائيل كما اختفى النبي ﷺ في الغار، وفي منازل من آمن به لما أرادوا قتله، ثم إنه عليه الصلاة والسلام خرج مع أمه يسيحان في الأرض، فاتفق أنه نزل في قرية على رجل فأحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة ملك جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا، فسأله عيسى عن السبب فقال: ملك هذه المدينة رجل جبار ومن عادته أنه جعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه هو وجنوده، وهذا اليوم نوبتي والأمر متعذر علي، فلما سمعت مريم عليها السلام ذلك، قالت: يا بني ادع الله ليكفي ذلك، فقال: يا أماه إن فعلت ذلك كان شر، فقالت: قد أحسن وأكرم ولا بد من إكرامه فقال عيسى ﷺ: إذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ماء

---

(١) قوله: "شيئًا"، أي قليلا، كقول سالم بن وابصة الأسدي: غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ ... فإن زادَ شيئًا، عَادَ ذَاكَ الغِنَى فَقْرَا وكقول عمر بن أبي ربيعة: وقالت لَهُنَّ: ارْبَعْنَ شيئًا، لَعَلَّنِي ... وَإنْ لامَنِي فِيمَا ارْتَأَيْتَ مُلِيمُ ديوان عمر بن أبي ربيعة (٩٣) (ص: ١٨٨)، وهذا من نوادر اللغة، مما أغفلت بيانه المعاجم.

(٢) بحر العلوم (٢١٧/١)، جامع البيان ت شاكر (٤٤٥/٦)- وهذه القصة من الإسرائيليات.

(٣) جامع البيان ط هجر (٤٤٢/٥).

ثم أعلمني، فلما فعل ذلك دعا الله تعالى فتحول ما في القدور طبيخا، وما في الخوابي خمرا، فلما جاءه الملك أكل وشرب وسأله من أين هذا الخمر؟ فتعلل الرجل في الجواب فلم يزل الملك يطالبه بذلك حتى أخبره بالواقعة...[١]

والقول الثاني: إن اليهود كانوا عارفين بأنه هو المسيح المبشر به في التوراة، وأنه ينسخ دينهم، فكانوا من أول الأمر طاعنين فيه، طالبين قتله، فلما أظهر الدعوة اشتد غضبهم، وأخذوا في إيذائه وإيحاشه وطلبوا قتله.

والقول الثالث: إن عيسى عليه السلام ظن من قومه الذين دعاهم إلى الإيمان أنهم لا يؤمنون به وأن دعوته لا تنجح فيهم فأحب أن يمتحنهم ليتحقق ما ظنه بهم فقال لهم من أنصاري إلى الله فما أجابه إلا الحواريون، فعند ذلك أحس بأن من سوى الحواريين كافرون مصرون على إنكار دينه وطلب قتله[٢].

المبحث الثاني: الحس بمعنى القتل.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

أولاً: المعاني اللغوية والأعرابية:

﴿ وَلَقَدْ ﴾ {الواو} استئنافية. **اللام** موطئة للقسم. **قد** حرف تحقيق.

﴿صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ فعل وفاعل، ومفعول أول..

﴿ وَعْدَهُۥٓ ﴾ مفعول ثانٍ ومضاف إليه، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة[٤]، وتعدَّت كلمة **صَدَق** هنا إلى اثنين، ويجوز أن تتعدى إلى الثاني بحرف جر.

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم ﴾ ﴿ إِذْ﴾ ظرف لما مضى مبني على السكون والظرف متعلق بـ {صدق}، ويجوز أن يتعلَّق بـ ﴿وعده﴾ كما ذكره أبو البقاء، ﴿تَحُسُّونَهُمْ﴾ فعل وفاعل ومفعول ﴿بِإِذْنِهِ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بتحسونهم، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لإذ والتقدير: ولقد صدقكم الله وعده وقت حسكم، وقتلكم إياهم بإذنه[٥]، يقول ابن عباس: والحس: القتل[٦].

﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾: "معناه تستأصلونهم قتلا، يقال حسهم القائد يَحُسهم حسًّا إذَا قتلهم، ويقال هل حَسَسْتَ كذا وكذا أي هل رَأيتَه أو علمته، ويقال ما حَسَسْتَ فلاناً، وهل حَسَسْتَ له - والكسر أكثر - أي ما رفُقْت عليه ولا رحمته ويقال جيءَ به من حِسَّك وبَسَّك، أي من حيث ما كان ولم يكن، كذلك لفظ الأصمعي، وتأويله جيءَ به من حيث تدركه حاسَّة - من حواسِّك، أو يدركه تصَرف من تَصرفك، ومعنى. ﴿بِإِذْنِهِۦ ﴾ بعلمه[٧].

(١) جامع البيان ط هجر (٤٤٢/٥) سبق ذكرها بالتفصيل في ص١٤.
(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣١/٨)، تفسير المراغي (١٦٦/٣).
(٣) سورة آل عمران الآية: (١٥٢).
(٤) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢١٢/٥)، إعراب القرآن العظيم المنسوب لزكريا الانصارى (ص:٢١٢)، الجدول في إعراب القرآن (٣٣٦/٤).
(٥) ينظر تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢١٢/٥)، إعراب القرآن العظيم المنسوب لزكريا الانصارى (ص:٢١٢)، الجدول في إعراب القرآن (٣٣٦/٤).
(٦) ينظر: تفسير ابن المنذر (٤٤٠/٢)، بحر العلوم - دار الفكر (٢٨١/١).
(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٧٨/١)، تفسير الراغب الأصفهاني (٩١١/٣).

فأما الحسُّ: "فهو القتل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والسدي، والجماعة. وقال ابن قتيبة: تحسونهم، أي تستأصلونهم بالقتل، يقال: سَنَةٌ حسوس: إذا أتت على كل شيء، وجراد محسوس: إذا قتله البرد، وفي قوله تعالى: بِإِذْنِهِ ثلاثة أقوال: **أحدها**: بأمره، قاله ابن عباس. **والثاني**: بعلمه، قاله الزجاج. **والثالث**: بقضائه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: حَتَّى إذا فَشِلْتُمْ قال الزجاج: أي: جبنتم وَتَنازَعْتُمْ أي: اختلفتم مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ يعني: النصرة. وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، معناه: حتى إذا تنازعتم في الأمر، فشلتم وعصيتم، وهذه الواو زائدة، كقوله تعالى: فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنادَيْناهُ معناه: ناديناه"[1].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ ﴿ حَتَّى ﴾ حرف جر وغاية بمعنى إلى. ﴿ إِذَا ﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان خافضة لشرطها منصوبة بجوابها.

﴿ فَشِلْتُمْ ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿ إِذَا ﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب المحذوف الذي سنبينه.

"إذا فشلتم" بمعنى متى وجوابه: "ثم صرفكم" على زيادة ثم عند الأخفش كما قال في قوله: "ثم تاب عليهم" والصحيح أن الجواب مضم"

والفشل: "الجبن، وفعله: فشِل يفشَل – بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر – فَشَلًا، إذا جَبُنَ فهو فَشِلٌ، أي جَبَانٌ ضعيفٌ"[2].

﴿ حَتَّى إذا فَشِلْتُمْ ﴾ يمكن أن تحمل «حتى» على معنيين:

"**الأول**: اعتبارها حرف غاية وجر، وهو الأقوى، ولدى أصحاب هذا الرأي يمكن استبدالها ب «إلى» ولا يتغير المعنى، أي إلى أن فشلتم وتنازعتم. وعلى هذا الرأي يجوز تعليقها مع مجرورها بفعل تحسونهم، كما يجوز تعليقهما بفعل «صدقكم». والوجه الأول أقوى لأن استمرار نصر المسلمين إلى وقت فشلهم ومنازعتهم أقرب للمنطق والعقل من أن نقول إن استمرار وعد الله لهم توقف عند فشلهم ونزاعهم فتأمل.

وأما الرأي الثاني: في معنى «حتى»: أن تكون ابتدائية تقدمت الجملة الشرطية ﴿إذا فشلتم﴾. ويبدو أن الرأي الأول أقوى ويغنينا عن الرأي الثاني ولو كان جائزا"[3].

﴿ وَتَنَازَعْتُمْ ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض معطوفة على جملة ﴿فَشِلْتُمْ﴾. ﴿ فِي الْأَمْرِ﴾ جار ومجرور متعلق ب ﴿ تنازعتم ﴾. ﴿ وَعَصَيْتُمْ ﴾ فعل وفاعل في محل الخفض معطوفة على جملة ﴿ فَشِلْتُمْ﴾ أيضًا. ﴿ مِنْ بَعْدِ ﴾ جار ومجرور، تنازع فيه الأفعال الثلاثة المذكورة قبله. ﴿ مَا ﴾ مصدرية. ﴿ أَرَاكُمْ ﴾ فعل ومفعول أول، وفاعله ضمير يعود على ﴿ الله ﴾ ورأى هنا بصرية تعدَّت إلى مفعولين بالهمزة. ﴿ مَا تُحِبُّونَ ﴾ ﴿ مَا ﴾ موصولة، أو موصوفة في محل النصب مفعول ثان لأرى. ﴿ تُحِبُّونَ ﴾ فعل وفاعل، والجملة صلةٌ لـ ﴿ ما ﴾، أو صفة لها، والعائد أو الرابط محذوف تقديره: من بعد إراءته إياكم ما تحبون، وجواب ﴿ إِذَا ﴾ محذوف تقديره: منعكم

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/٣٣٤).

(٢) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/١٤٨).

(٣) الجدول في إعراب القرآن (٤/٣٣٨)، بحر العلوم – دار الفكر (١/٢٨٢).

النصر، وانهزمتم، وجملة ﴿إِذَا﴾ من فعل شرطها وجوابها في محل الجر بـ ﴿حتى﴾ بمعنى إلى المتعلِّقة بـ ﴿صدقكم﴾ والتقدير: ولقد صدقكم ﴿وعده﴾ إذ تحسونهم بإذنه(١)، ﴿مِنْكُمْ﴾ جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر. ﴿يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾ والجملة الفعلية صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والعائد ضمير الفاعل، والجملة من المبتدأ والخبر جملة معترضة، لا محل لها من الإعراب؛ لاعتراضها بين المعطوف والمعطوف عليه. ﴿وَمِنْكُمْ﴾ ﴿الواو﴾ عاطفة، ﴿منكم﴾ جار ومجرور خبر مقدم. ﴿مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، وجملة ﴿يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ صلة الموصول، والجملة الإسمية معطوفة على جملة قوله: ﴿مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ على كونها معترضة لا محل لها من الإعراب (٢).

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي "ليبلوكم: ليختبركم، ويكون «ليبتليكم» بالبلاء"(٣).

﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف. ﴿صَرَفَكُمْ﴾ فعل ومفعول، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿عَنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلق به، والجملة الفعلية معطوفة على جواب ﴿إذا﴾ المقدَّر المذكور سابقًا على كونها جملةً جوابيةً لا محل لها من الإعراب ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ﴿اللام﴾ حرف جر وتعليل، ﴿يبتلي﴾ فعل مضارع منصوب بأن مضمرةً جوازًا بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله. ﴿والكاف﴾ مفعول به، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، وأن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بلام التعليل، تقديره: لابتلائه إياكم الجار والمجرور متعلقٌ بـ ﴿صَرَفَكُمْ﴾.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية، ﴿اللام﴾ موطئة للقسم. ﴿قد﴾ حرف تحقيق. ﴿عَفَا﴾ فعل ماض وفاعله ضمير يعود على ﴿الله﴾، ﴿عَنْكُمْ﴾ متعلق بعفا، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم المحذوف مستأنفة. ﴿وَاللَّهُ﴾ ﴿الواو﴾ استئنافية. ﴿الله﴾ مبتدأ. ﴿ذُو فَضْلٍ﴾ خبر، ومضاف إليه ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ جار ومجرور، متعلق بفضل، والجملة الإسمية مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها(٤). **والمعنى**: ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه "يعني تقتلونهم بإذنه يوم أحد، ولكم النصر عليهم حتى إذا فشلتم، يعني ضعفتم عن ترك المركز وتنازعتم في الأمر وعصيتم كان تنازعهم أنه قال بعضهم: ننطلق فنصيب الغنائم، وقال بعضهم: لا نبرح المركز كما أمرنا رسول الله ﷺ، من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر على عدوكم، فقتل أصحاب الألوية من المشركين منكم من يريد الدنيا الذين طلبوا الغنيمة، ومنكم من يريد الآخرة أي يقصد بحربه إلى ما عند الله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم "ثم أدالهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم" ولقد عفا عنكم "أي غفر لكم ذلك الصنيع وذلك والله أعلم لكثرة عدد العدو"(٥).

---

(١) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (٢/١٦٤)، إعراب القرآن للدعاس (١/١٦٦)، التبيان في إعراب القرآن (١/٣٠١).

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٥/٢١٣)، التبيان في إعراب القرآن (١/٣٠١)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١/١٤٧).

(٣) مجاز القرآن (١/١٠٥).

(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٥/٢١٤).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان - العلمية (١/١٩٦) جامع البيان ت شاكر (٧/٢٨٨)، تفسير ابن كثير ط-أخرى (٣/٢٠٩)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٤٧٨).

ثانياً: النكات البلاغية في الآية:

١- جاءت المخاطبة في هذه الآيات بجمع ضمير المؤمنين، وإن كانت الأمور التي عاتبهم الله تعالى عليها لم يقع فيها جميعهم، ولذلك وجوه من **الفصاحة**: منها وعظ الجميع وزجره، إذ من لم يفعل معد أن يفعل إن لم يزجر، ومنها الستر والإبقاء على من فعل، وكان رسول الله ﷺ قد وعد المؤمنين النصر يومئذ على خبر الله تعالى- إن صبروا وجدوا- فصدق الله الوعد أولا، وذلك أن رسول الله ﷺ صاف المسلمين يومئذ ورتب الرماة على ما قد ذكرناه في صدر تفسير هذه الآيات في قصة أحد، فبارز علي بن أبي طالب أبا سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين، وحمل الزبير وأبو دجانة فهزا عسكر المشركين، ونهض رسول الله ﷺ بالناس، فأبلى حمزة بن عبد المطلب وعاصم بن أبي الأقلح، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا فهذا معنى قوله تعالى: إذ تحسونهم بإذنه والحس: القتل الذريع، يقال حسهم إذا استأصلهم قتلا[١].

٢- في قول الله ﷻ "ولقد صدقكم عطف على قوله: سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وهذا عود إلى التسلية على ما أصابهم، وإظهار لاستمرار عناية الله تعالى بالمؤمنين، ورمز إلى الثقة بوعدهم بإلقاء الرعب في قلوب المشركين، وتبيين لسبب هزيمة المسلمين: تطمينا لهم بذكر نظيره ومماثله السابق، فإن لذلك موقعا عظيما في الكلام على حد قولهم (التاريخ يعيد نفسه) وليتوسل بذلك إلى إلقاء تبعة الهزيمة عليهم، وأن الله لم يخلفهم وعده، ولكن سوء صنيعهم أوقعهم في المصيبة كقوله: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٢]"[٣].

٣- "قد ساق هذه الآية الكريمة لتسلية المؤمنين بأن ما أصابهم في أحد من المشركين قد أصيب المشركون بمثله على أيدى المؤمنين في غزوة بدر، فلماذا يحزنون أو يضعفون"[٤].

٤- في قول الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ تنكير: فضل للتفخيم، وإظهار المؤمنين في موضع الإضمار للتشريف، يظنون بالله ظن وفتوكل والمتوكلين بينهما جناس اشتقاق[٥].

ثالثاً: مناسبة الآية لما قبلها:

يقول الرازي- رحمه الله- إن اتصال هذه الآية بما قبلها من وجوه:

الأول: "إنه لما رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وقد أصابهم ما أصابهم بأحد، قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر! فأنزل الله تعالى هذه الآية.

الثاني: قال بعضهم كان النبي ﷺ رأى في المنام أنه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين يوم أحد، وقتل بعده تسعة نفر على اللواء فذاك قوله: ولقد صدقكم الله وعده يريد تصديق رؤيا الرسول ﷺ.

الثالث: يجوز أن يكون هذا الوعد ما ذكره في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٦]، إلا أن هذا كان مشروطا بشرط الصبر والتقوى.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٢٤/١).
(٢) التحرير والتنوير (١٢٦/٤).
(٣) سورة النساء الآية: (٧٩).
(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي (٢٧٤/٢).
(٥) التفسير المنير للزحيلي (١٢٤/٤).
(٦) سورة آل عمران الآية: (١٢٥).

والرابع: يجوز أن يكون هذا الوعد هو قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[1] [الحج: ٤٠] إلا أن هذا أيضا مشروط بشرط.

والخامس: يجوز أن يكون هذا الوعد هو قوله: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾[2].

والسادس: قيل: الوعد هو أن النبي ﷺ قال للرماة: (لا تبرحوا من هذا المكان، فإنا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان)[3].

السابع: قال أبو مسلم: لما وعدهم الله في الآية المتقدمة إلقاء الرعب في قلوبهم أكد ذلك بأن ذكرهم ما أنجزهم من الوعد بالنصر في واقعة أحد، فإنه لما وعدهم بالنصرة بشرط أن يتقوا ويصبروا فحين أتوا بذلك الشرط لا جرم، وفى الله تعالى بالمشروط وأعطاهم النصرة، فلما تركوا الشرط لا جرم فاتهم المشروط[4].

رابعاً: فقه الآية:

١- يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين، فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة، ولهذا قال تعالى: إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ثم أمرهم بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه، فقال تعالى: بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ثم بشرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم، مع ما ادخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنكال، فقال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين[5] وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[6].

والخلاصة: إن الله صدقكم وعده، فكنتم تقتلونهم بإذنه ومعونته قتل حسّ واستئصال، ثم صرفكم عنهم بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم، وحال بينكم وبين تمام النصر ليمتحنكم بذلك: أي ليكون ذلك ابتلاء واختبارا لكم يمحصكم به، ويميز الصادقين من المنافقين[7].

٥- في قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ **ففيه مسائل:**

المسألة الأولى:

لقائل أن يقول ظاهر قوله: حتى إذا فشلتم بمنزلة الشرط، ولا بد له من الجواب فأين جوابه؟ **واعلم أن للعلماء هاهنا طريقين:**

---

(١) سورة الحج الآية: (٤٠).

(٢) سورة آل عمران الآية: (١٥١).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه –كتاب المغازي – باب غزوة أحد – (٥/٩٤) – حديث: (٤٠٤٣).

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/٣٨٦) زهرة التفاسير (٣/١٤٥٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٥/١٨٩).

(٥) تفسير ابن كثير ط العلمية (٢/١١٥).

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه –كتاب التيمم- (١/٧٤) – حديث: (٣٣٥) – والآية من سورة آل عمران: (آية ١٥٢).

(٧) تفسير ابن كثير ط العلمية (٢/١١٥).

الطريق الأول: "أن هذا ليس بشرط، بل المعنى، ولقد صدقكم الله وعده حتى إذا فشلتم، أي قد نصركم إلى أن كان منكم الفشل والتنازع؛ لأنه تعالى كان إنما وعدهم بالنصرة بشرط التقوى والصبر على الطاعة، فلما فشلوا وعصوا انتهى النصر، وعلى هذا القول تكون كلمة حتى غاية بمعنى «إلى» فيكون معنى قوله: حتى إذا إلى أن، أو إلى حين.

الطريق الثاني: أن يساعد على أن قوله: حتى إذا فشلتم شرط، وعلى هذا القول اختلفوا في الجواب على وجوه:

الأول: وهو قول البصريين أن جوابه محذوف، والتقدير: حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منعكم الله نصره، وإنما حسن حذف هذا الجواب لدلالة قوله: ولقد صدقكم الله وعده عليه، ونظائره في القرآن كثيرة، قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾[1]، والتقدير: فافعل، ثم أسقط هذا الجواب لدلالة هذا الكلام عليه، وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾[2]، والتقدير: أم من هو قانت كمن لا يكون كذلك؟

الوجه الثاني: وهو مذهب الكوفيين واختيار الفراء أن جوابه هو قوله: وعصيتم والواو زائدة كما قال: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾[3]، والمعنى ناديناه، كذا هاهنا، الفشل والتنازع صار موجبا للعصيان، فكان التقدير حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر عصيتم، فالواو زائدة، وبعض من نصر هذا القول زعم أن من مذهب العرب إدخال الواو في جواب حتى إذا بدليل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾[4]، والتقدير: أم من هو قانت كمن لا يكون كذلك؟.

الوجه الثالث: في الجواب: أن يقال تقدير الآية: حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، صرتم فريقين، منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة، فالجواب: هو قوله: صرتم فريقين، إلا أنه أسقط؛ لأن قوله: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة يفيد فائدته ويؤدي معناه؛ لأن كلمة «من» للتبعيض فهي تفيد هذا الانقسام، وهذا احتمال خطر ببالي.

المسألة الثانية:

أنه تعالى ذكر أمورا ثلاثة: أولها: الفشل وهو الضعيف، وقيل الفشل هو الجبن، وهذا باطل بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟﴾[5] أي فتضعفوا، لأنه لا يليق به أن يكون المعنى فتجبنوا. ثانيها: التنازع في الأمر"[6].

٣- أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن عبيد الله، عن ابن عباس أنه قال: ما نصر الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موطن كما نصره يوم أحد. قال: فأنكرنا ذلك. فقال ابن عباس: بيني وبين مَنْ أنكر ذلك كتاب الله، إن الله يقول في يوم أحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ يقول ابن عباس: والحسُّ: القتل ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾. الآية، وإنما عنى بهذا الرماة وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع، ثم قال: "احموا

---

(١) سورة الأنعام الآية: (٣٥).

(٢) سورة الزمر الآية: (٩).

(٣) سورة الصافات الآيتان: (١٠٣ – ١٠٤).

(٤) سورة الزمر الآية: (٧١).

(٥) سورة الأنفال الآية: (٤٦).

(٦) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/٣٨٧).

ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل، فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا" فلما غنم النبي صلى الله عليه وسلم، وأباحوا عسكر المشركين، أكب الرماة جميعا، فدخلوا في العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم هكذا – وشبك بين أصابع يديه – والتبسوا، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ، فضرب بعضهم بعضا، والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة، أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار، إنما كانوا تحت المهراس، وصاح الشيطان: قتل محمد، فلم يشك فيه أنه حق، فما زلنا كذلك ما نشك أنه قد قتل، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين نعرفه بتكفئه إذا مشى، قال: ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا قال: فرقي نحونا، وهو يقول: "اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله" قال: ويقول مرة أخرى: "اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا" حتى انتهى إلينا، فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: اعل هبل – مرتين، يعني آلهته – أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: يا رسول الله، ألا أجيبه؟ قال: "بلى" فلما قال: اعل هبل، قال عمر: الله أعلى وأجل. قال: فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب، إنه قد انعمت عينها، فعاد عنها، أو فعال عنها، فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عمر. قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول، وإن الحرب سجال. قال: فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذن وخسرنا. ثم قال أبو سفيان: أما إنكم سوف تجدون في قتلاكم مثلى، ولم يكن ذاك عن رأي سراتنا. قال: ثم أدركته حمية الجاهلية، قال: فقال: أما إنه قد كان ذاك، ولم نكرهه"(١).

٤- ينتهي هذا الأمر "بوضع اليد على سبب المتاعب التي لقيها المسلمون يوم أحد، وذلك بغية تنبيه الجيل الإسلامي الأول إلى تجنب عوامل الهزيمة وأسبابها، بالنسبة لما ينتظره من جهاد طويل في سبيل الله، ثم تنبيه كل الأجيال الإسلامية اللاحقة إلى نفس العوامل والأسباب، حتى يتجنبها، ولا تبتلى بها ولا بنتائجها الحتمية، وهذه الأسباب يلخصها كتاب الله في أربعة أشياء:

أ- الفشل الذي يصيب بعض ضعفاء النفوس، فيجرون الهزيمة على من معهم ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾.

ب- التنازع بين المحاربين وعدم الاتفاق فيما بينهم ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

ج- عصيان المحاربين لأوامر القيادة العليا وعدم تنفيذهم لتلك الأوامر تنفيذا حرفيا ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾.

د- اختلاف الوجهة وعدم الاتحاد في الهدف ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.

فهذه الأسباب الأربعة التي حددها كتاب الله أوضح تحديد"(٢).

٥- يخبر الله سبحانه المؤمنين المصدقين لرسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه، بأنهم إن يطيعوا الجاحدين لنبوته ﷺ، المكذبين بهديه وبالقرآن، فإنهم سيحملونهم بذلك على الردة بعد الإيمان، والضلال والهلاك والخسران،

(١) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون (١٢٢/٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند بني هاشم – مسند عبد الله بن العباس – (٣٧٠/٤) – حديث: (٢٦٠٩) – التيسير في أحاديث التفسير (٢٦٩/١).



ولكن سيلقي الله أيها المؤمنون الرعب والهلع في قلوب من حاربكم بأحد، بشركهم وطاعتهم للشيطان، وبامتثالكم لأوامر نبيكم عليه الصلاة والسلام، فها أنتم تحسونهم في بداية المعركة حَسًّا. قال مجاهد: (تقتلونهم). وقال الربيع: الحَسُّ القتل. حتى إذا جبنتم وضعفتم واختلفتم في أمر الله وعصيتم نبيكم، أنزل بكم شيئًا من الهزيمة، وقذف عليكم عدوكم، بعدما أراكم من عدوكم ما تحبون، فلما آثرتم الدنيا ردّ وجوهكم عنهم لمعصيتكم، بعدما طاردتموهم، ليكروا عليكم من جديد مستفيدين من مخالفتكم، ثم عفا الله عنكم رحمة بكم وتقديرًا لإيمانكم[1].

خامساً: المعنى الاجمالي للآية:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾ وذلك أنهم لما أخذوا في الحرب انهزم المشركون، فلما أَخَذَ بعض المسلمين في النهب والغارة رجع الأمر عليهم وانهزم المسلمون، فذلك قوله: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ يقول: تقتلونهم بأمره. وقال القتبي: تحسونهم يعني تستأصلونهم بالقتل، يقال: جراد محسوس إذا قتله البرد. حَتَّى إذا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ يعني: جَبُنْتُمْ من عدوكم، واختلفتم في الأمر وَعَصَيْتُمْ أمر الرسول ﷺ مِنْ بَعْدِ مَا أَراكُمْ يعني أراكم الله مَّا تُحِبُّونَ يعني من النصر على عدوكم، وهزيمة الكفار والغنيمة، ثم قال: مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا أي يطلب الغنيمة وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وهم الذين ثبتوا عند المشركين حتى قتلوا. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: كنا لا نعرف أن أحداً منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية، فَعَلِمْنا أن فينا من يريد الدنيا ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ بالهزيمة من بعد أن أَظْفَركم عليهم لِيَبْتَلِيَكُمْ بمعصية الرسول بالقتل والهزيمة وَلَقَدْ عَفا الله عَنْكُمْ ولم يعاقبكم عند ذلك، فلم تقتلوا جميعاً وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ في عفوه وإنعامه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بالعفو والإنعام[2].

المبحث الثالث: الحس بمعنى البحث.

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[3].

أولاً: المعاني اللغوية والأعرابية:

﴿ يَٰبَنِيَّ ﴾ ﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿بني﴾: منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء المدغمة في ياء المتكلم؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، لأن أصله: يا بنين لي، حذفت النون للإضافة، واللام للتخفيف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿ ٱذْهَبُواْ ﴾ فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿ فَتَحَسَّسُواْ ﴾: (الفاء): عاطفة. {تحسسوا}: فعل وفاعل معطوف على ﴿اذْهَبُوا﴾. ﴿ مِن يُوسُفَ ﴾: متعلق به. ﴿ وَأَخِيهِ ﴾: معطوف على ﴿يُوسُفَ﴾. ﴿ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ ﴿لا﴾ الناهية معطوف على قوله: ﴿فَتَحَسَّسُوا﴾. ﴿ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق به. ﴿ إِنَّهُۥ ﴾: ناصب واسمه. ﴿ لَا يَاْيۡـَٔسُ ﴾: فعل مضارع مرفوع. ﴿ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾: متعلق به. ﴿ إِلَّا ﴾: أداة استثناء مفرغ، ﴿ ٱلۡقَوۡمُ ﴾: فاعل. ﴿ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ صفة له، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إن﴾ وجملة ﴿إن﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ مسوق لتعليل ما قبلها[4].

---

(١) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون (٢/١٢١).

(٢) بحر العلوم (١/٢٥٧) – أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٤٣).

(٣) سورة يوسف الآية: (٨٧).

(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (١٤/١١٣)، التبيان في إعراب القرآن (٢/٧٤٣)، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (٥/٣٦٤)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (٢/٥١٧)، إعراب القرآن للدعاس (٢/١٠٢).

التحسس:

"قال الأوزاعي: التجسس: البحث عن الشيء. والتحسس: الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون، أو يتسمع على أبوابهم. والتدابر: الصرم. رواه ابن أبي حاتم"[١].

وقال أهل التأويل: "تحسسوا: اطلبوه واستخبروا عنه وعن أخيه، لكن غير هذا كأنه أقرب؛ وهو من وقوع الحس عليه؛ كأنه قال: اذهبوا فانظروا إليه وإلى أخيه؛ لأنهم إن لم يكونوا يعلمون أن يوسف أين هو - فلقد كانوا يعلمون من حال أخيه بنيامين أنه أين هو؟ فلو كان على الطلب والبحث والاستخبار؛ على ما قاله أهل التأويل؛ إن احتمل في يوسف فذلك لا يحتمل في أخيه؛ إذ هم كانوا يعلمون مكانه وأين هو؟ وإن كانوا لا يعلمون مكان يوسف ولا أين هو، وهو إنما أمرهم أن يتحسسوا عنهما جميعًا؛ فدل - والله أعلم - أنه من وقوع الحس والبصر عليهما؛ لا من البحث والطلب - والله أعلم - فكأنه علم بالوحي أنه هنالك وأخوه معه، لكنه لم يخبر بنيه أنه هنالك؛ لما علم أنهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب إليه؛ فإنما أمرهم بذلك أمر تعريض لا أمر تصريح[٢].

﴿ يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ "أي اطلبوا عِلْمَ خَبَرِهِ بِمِصْرَ، وقال غيره: التَحَسُّس: في الخير، والتَجَسُّس: في الشر. وقال ابن الأنباري: إنَّما نَسَقَ أحدَهُما على الآخر لاختلاف اللفظين، كما قالوا: بُعْداً وسُحْقاً، والانْحِسَاسُ: الانقلاع والتَّحَاتُّ، يقال: انْحَسَّت أسنانُه، وحَسْحَسْتُ اللحمَ: إذا جَعَلْتَهُ على الجَمْرِ؛ مثل حَسَسْتَه، وحَسْحَسَ: إذا توجَّعَ، وتَحَسْحَسَت أوبار الإبل: سقطت، وتَحَسْحَسَ للقِيام: تحرَّكَ، والتركيب يدل على غَلَبَةِ الشيء بِقتلٍ أو غيرِه؛ وعلى حكاية صوت عند توجُّع وشِبْهِه"[٣]، "قال ابن عباس: التمسوا، وَلا تَيْأَسُوا، أي لا تقنطوا، مِنْ رَوْحِ اللَّهِ: من فرج الله، قال ابن زيد وقتادة، والضحّاك: من رحمة الله، ف إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ، يقال: سئل ابن عباس عن الفرق بين التجسّس والتحسّس فقال: لا يبعد أحدهما عن الآخر إلّا أنّ التحسّس في الخير والتجسّس في الشرّ، الحسن وقتادة: ذكر لنا أنّ نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاء قط إلّا أتى حسن ظنّه بالله من ورائه، وما ساء ظنّه بالله ساعة قط من ليل أو نهار[٤].

ثانياً: القراءات الواردة في الآية:

اختلف أهل التفسير في معنى القراءات.

١- التحسس والتجسس:

القول الأول:

قالوا ليس بين قراءة (ولا تجسسوا) بالجيم وقراءة (ولا تحسسوا) بالحاء فرق كبير، قال بهذا القول ابن عباس[٥]، وأبو عبيدة[٦]، والزمخشري[٧]، وغيرهم من أهل العلم[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة (٣٧٩/٧).
(٢) تأويلات أهل السنة (٢٧٨/٦).
(٣) لسان العرب (٥٠/٦)، العباب الزاخر (٨٥/١)، تفسير المراغي (٣٠/١٣).
(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٥٠/٥)، تفسير القرطبي (٢٥٢/٩)
(٥) ينظر: الماوردي (٣٣٤/٥).
(٦) ينظر: مجاز القرآن (٢٢٠/٢).
(٧) تفسير الزمخشري - (١٠٤٠).
(٨) تفسير ابن عطية (١٧٤٥)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري (٥٠٣/٢)، وأبي حيان (١١٣/٨)، وأبي السعود (١١٧/٦).

القول الثاني:

قالوا بين القراءتين فرق، واختلفوا في هذا الفرق:

فقيل: إن قراءة الجيم من البحث ومنه الجاسوس الذي يبحث عن الأمور ويتتبع العورات، وقراءة الحاء ما أدركه الإنسان ببعض حواسه كالاستماع إلى حديث قوم.

وقيل: إن قراءة الجيم ما يجس الإنسان الأخبار لنفسه ولغيره، وقراءة الحاء ما يحس الأخبار لنفسه فقط.

وقيل: إن قراءة الجيم يكون غالباً في الشر ومنه الآية، وقراءة الحاء يكون غالباً في الخير ومنه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقيل: إن قراءة الجيم ما كان من وراء، وقراءة الحاء ما كان بالدخول والاستعلام[(١)].

٢- **تيأسوا**: وهي قراءة فرقة من الجمهور.

وقرىء:

- تأيسوا، وهي قراءة فرقة أخرى من الجمهور.
- تئسوا، بكسر التاء، هي قراءة الأعرج.

٣- روح: قرىء: روح، بضم الراء، وهي قراءة عمر بن عبد العزيز، والحسن، وقتادة[(٢)].

ثالثاً: النكات البلاغية في الآية:

١- **الاستئناف البياني**: "فجملة يا بني اذهبوا مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن في قوله: أعلم من الله ما لا تعلمون ما يثير في أنفسهم ترقب مكاشفته على كذبهم فإن صاحب الكيد كثير الظنون ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾"[(٣)،(٤)].

٢- **الروح**: بفتح الراء: النفس - بفتح الفاء - استعير لكشف الكرب لأن الكرب والهم يطلق عليهما الغم وضيق النفس وضيق الصدر، كذلك يطلق التنفس والتروح على ضد ذلك، ومنه استعارة قولهم: تنفس الصبح إذا زالت ظلمة الليل، وفي خطابهم بوصف البنوة منه ترقيق لهم وتلطف ليكون أبعث على الامتثال، وجملة ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ تعليل للنهي عن اليأس. فاستعارة الروح للرحمة وإيضاحه أن الروح مصدر بمعنى الرحمة وأصله استراحة القلب من غمه، والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله[(٥)].

والمعنى: لا تيأسوا من الظفر بيوسف - عليه السلام- معتلين بطول مدة البعد التي يبعد معها اللقاء عادة، فإن الله إذا شاء تفريج كربة هيأ لها أسبابها، ومن كان يؤمن بأن الله واسع القدرة لا يحيل مثل ذلك فحقه أن يأخذ في سببه ويعتمد على الله في تيسيره، وأما القوم الكافرون بالله فهم يقتصرون على الأمور الغالبة في العادة وينكرون غيرها.

---

(١) ينظر: الأقوال في: الغريبين (٣٤١/١)، والماوردي (٣٣٤/٥)، والسمعاني (٢٢٥/٥)، والغزنوي في وضح البرهان (٣١٦/٢)، والقرطبي (٢٨٤/١٥)، وابن جزي (٢٩٧/٢)، وابن كثير (٣٤٥/٧)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢٧٢/١)- منهج الإمام أبي إسحاق الحربي وأقواله في التفسير (جمعا ودراسة) (ص: ٢٠١).

(٢) الموسوعة القرآنية (٣٤٠/٥).

(٣) التحرير والتنوير (٤٥/١٣).

(٤) سورة المنافقون الآية: (٤).

(٥) من لطائف وأسرار (تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور) (٤٢/١٣). تلخيص البيان في مجازات القرآن (١٧٣/٢) من لطائف وفوائد (إعراب القرآن وبيانه) (ص: ٥٨٩).

رابعاً: مناسبة الآية لما قبلها:

في هذه الآية "انتقال إلى حكاية حال يعقوب- عليه السلام- في انفراده عن أبنائه ومناجاته نفسه، فالتولي حاصل عقب المحاورة. وتولى: انصرف، وهو انصراف غضب، ولما كان التولي يقتضي الاختلاء بنفسه ذكر من أحواله تجدد أسفه على يوسف- عليه السلام- فقال: يا أسفى على يوسف والأسف أشد الحزن، أسف كحزن، ونداء الأسف مجاز. نزل الأسف منزلة من يعقل فيقول له: احضر فهذا أوان حضورك، وأضاف الأسف إلى ضمير نفسه؛ لأن هذا الأسف جزئي مختص به من بين جزئيات جنس الأسف، والألف عوض عن ياء المتكلم فإنها في النداء تبدل ألفا.

وإنما ذكر القرآن تحسره على يوسف- عليه السلام- ولم يذكر تحسره على ابنيه الآخرين؛ لأن ذلك التحسر هو الذي يتعلق بهذه القصة فلا يقتضي ذكره أن يعقوب- عليه السلام- لم يتحسر قط إلا على يوسف، .... ثم صرح لهم بشيء مما يعلمه وكاشفهم بما يحقق كذبهم ادعاء ائتكال الذئب يوسف- عليه السلام- حين أذنه الله بذلك عند تقدير انتهاء البلوى فقال: يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه[1].

خامساً فقه الآية:

إن الآية الكريمة تفيد العديد من الأحكام منها:

١- التوكل على الغير فيما يقدر عليه ذلك الغير مع اعتماد القلب بكليته على الله تعالى واعتقاد أن ذلك إنما هو "سبب في تحصيل الأمر المطلوب فقط، كمن ينيب غيره في أمرٍ تدخله النيابة، فهذا لا بأس به، وهو بهذا الاعتبار يأتي بمعنى الوكالة، فقد وكل يعقوب - عليه السلام- أبناءه في البحث عن أخيهم يوسف - عليه السلام- فقال: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾[2]، وقد وكل النبي على الصدقة عمالاً وحفاظًا، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن أبي طالب في ذبح ما لم يذبح من هديه وأن يتصدق بجلودها وجلالها[3]، وهذا جائز بالإجماع في الجملة"[4].

٢- الفرق بين التجسس والتحسس: يقول ابن كثير – رحمه الله - "ولا تجسسوا أي على بعضكم بعضا والتجسس غالبا يطلق في الشر ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالبا في الخير كما قال عز وجل إخبارا عن يعقوب أنه قال ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾[5]، وقد يستعمل كل منهما في الشر"[6].

٣- كل عسير إذا يسره الله يهون، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهذا مقاله نبي الله يعقوب عليه السلام لبنيه، "لا يقعدنكم اليأس، تحركوا وامضوا، فباحثوا عن أخبار من تلومونني في ذكره، وعن أخيه، وفي هذا بيان لقوة نفسه عليه السلام وثبات جنانه، ولك أن تقدر ما يقوله الناس له، وعظيم إنكارهم عليه، وما يتحدثون به في مجتمعه"[7].

---

(١) التحرير والتنوير (٤٢/١٣).

(٢) سورة يوسف الآية: (٨٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه –كتاب الحج – باب يتصدق بجلود الهدي – (١٧٢/٢) – حديث: (١٧١٧).

(٤) إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤال وجواب (٤٨/١).

(٥) سورة يوسف الآية: (٨٧).

(٦) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٥٤/٧)، شرح الموطأ - عبد الكريم الخضير (١٠/١٨٦)

(٧) الخلاصة في شرح آيات الجهاد في القرآن الكريم (ص: ١٢٩).

٤- اعتبر القرآن أن اليأس هو" كفر بالله تعالى لماذا ليعطينا رسالة قوية بأن اليأس من رحمة الله محرم في الإسلام، وهذا ما مارسه المسلمون الأوائل فمنحهم القوة وفتحوا به الدنيا! كما أن تأثير التعامل الإيجابي مع التقدم في السن يكون أوضح من عوامل أخرى كالحفاظ على خفة الوزن والامتناع عن التدخين وممارسة التمارين الرياضية- وهي عوامل يسود الاعتقاد بأنها يمكن أن تضيف في أقصى الأحوال ثلاث سنوات إلى حياة المرء"[١].

٥- إن الإنسان المسلم "يشكو إلي الله ولا يشكو أمره إلي الناس والشكوى للمخلوق هي شكوى الرحيم إلي الذي لا يرحم"[٢].

٦- اليأس: أعظم عوائق الصبر وهو الذي حذر يعقوب أبناءه من الوقوع فيه مع تكرار البحث عن يوسف وأخيه: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[٣]، وهو الذي حرص القرآن على دفعه عن أنفس المؤمنين فبذر الأمل في صدورهم: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا ﴾[٤]، وقال لهم: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾[٥]، إن إضاءة شعلة الأمل دواء اليأس وهذا ما ذكرت به الآيات المؤمنين وهو ما ذكر به موسى قومه فقال: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[٦]، ولما شكا خباب إلى رسول الله ﷺ ما يلاقيه من أذى قريش قال له رسول الله ﷺبعد أن ذكره مصاب الصالحين في الأمم قبله: "والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"[٧][٨]. واستدل بالآية جمع من العلماء على أَن اليأس من رحمة الله كفر! "والجمهور على أن اليأْس من رحمته تعالى من الكبائر، اللهم إلا إذا اقترن بما يدل على نسبته سبحانه إلى العجز عن تنفيس الكرب أو مغفرة الذنب، وأَيًّا ما كان الأمر فاليأس من رحمة الله من صفات الكفار، ومن أَسباب الكفر والعياذ باللهِ تعالى، ووصية يعقوب عليه السلام لبنيه في الآية الكريمة درس من دروس النبوّة في شحذ الهمم وتربية العزائم"[٩].

٧- كل إنسان وهمه، قال القشيري: "كان يعقوب يبعث بنبيه في طلب يوسف، وكان الإخوة يخرجون بطلب الميرة، وفي اعتقادهم هلاك يوسف، وكل إنسان وهمه"[١٠].

---

(١) روائع الإعجاز النفسي في القرآن الكريم (ص: ٥٥).
(٢) مائة فائدة من قصة يوسف (ص: ٣٧).
(٣) سورة يوسف: آية (٨٧).
(٤) سورة آل عمران الآيتان: (١٣٩ – ١٤٠).
(٥) سورة محمد الآية: (٣٥).
(٦) سورة الأعراف الآية: (١٢٨).
(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه –كتاب المناقب – باب من علامات النبوة في الإسلام – (٢٠١/٤) – حديث: (٣٦١٢).
(٨) ينظر: موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ (٩٨/١).
(٩) التفسير الوسيط – مجمع البحوث (٣٧٤/٥).
(١٠) إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف (ص: ٧٥٦).

سادساً: المعنى الاجمالي للآية:

التحسس: هو طلب الشيء بطريق الحواس بدقة وحكمة وصبر على البحث، قال يعقوب لأبنائه محرضاً على تطلب يوسف وأخيه، وأن يبحثوا عن أمرهما: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾(١). يقول لهم: لا تيأسوا من الفرج بعد الشدة، فإنه لا ييأس من روح الله وفرجه إلا القوم الكافرون، أما المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، فإنهم لا ييأسون من روح الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق.

وأصل التحسس: طلب الخير بالحاسة وهو قريب من التجسس، وقيل: أن التحسس يكون في الخير، والتجسس يكون في الشر(٢). وقد يستعمل كل منهما في الشر، كما جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله–ﷺ – قال: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)(٣)، وكان طبيعياً أن يستجيب أبناء يعقوب إلى رغبة أبيهم، وأن يفكروا في الرجوع إلى مصر مرة أخرى لاسترجاع أخيهم "بنيامين". ويدخل إخوة يوسف مصر للمرة الثالثة.

المبحث الرابع: الحس بمعنى الصوت

﴿ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾(٤)

أولاً: المعاني اللغوية والأعرابية:

﴿ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾: فعل وفاعل. ﴿ حَسِيسَهَا مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل الرفع، خبر ثان ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾، أو بدل من﴿ مُبۡعَدُونَ ﴾، أو في محل النصب، حال من ضمير ﴿ مُبۡعَدُونَ ﴾. ﴿ وَهُمۡ ﴾ الواو: حالية، أو استئنافية ﴿ هم ﴾ مبتدأ. ﴿ فِي مَا ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ ﴿ ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾ فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: فيما اشتهته أنفسهم. ﴿ خَٰلِدُونَ ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، أو في محل النصب حال، من الضمير المستكن في ﴿ مُبۡعَدُونَ ﴾، أو من فاعل ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾(٥).

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ "أي صوت لهيبها. سمى صوت لهبها حسيسا، لأن الصوت يقرع السمع فيماسه. وقال أبو الحسن الأشعري: الحس العلم المبتدئ في النفس لا عن استدلال، قال: والحاس في الحقيقة العالم وإنما تجمع، فيقال: حواس على سبيل تسمية الشيء باسم غيره. وقال أبو العباس القلانسي: الحس غير العلم والحواس أعراض، أراد بها الشم والسمع والبصر والمس. قال: ولو قال قائل: حس البصر آلة لا تفارق القدرة، كان قد ذهب مذهبا صحيحا. وقال الأشعري: ذلك محال، لأن من مذهبه أن الحس علم، والله أعلم"(٦).

فلا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى "حَسيس النار، ويعني بالحسيس: الصوت والحسّ.

---

(١) سورة يوسف: آية (٨٧).

(٢) التفسير البسيط للواحدي (٢٢٣/١٢)، لسان العرب لابن منظور (٥٠/٦) بتصرف يسير. إعراب القرآن لمحي الدين درويش (٤٤/٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر– (١٩/٨)، (٦٠٦٤) – وكذلك أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، (١٩٨٥/٤)، (٢٥٦٣).

(٤) سورة الأنبياء الآية: (١٠٢).

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢١٥/١٨)، الجدول في إعراب القرآن (٧٢/١٧)، التبيان في إعراب القرآن (٩٢٨/٢)، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥١٧/٤).

(٦) تلخيص الأدلة لقواعد التوحيد – (ص: ١٠٣).

فإن قال قائل: فكيف لا يسمعون حسيسها، وقد علمت ما روي من أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلا جثا على ركبتيه خوفا منها؟ قيل: إن الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها هي غير تلك الحال، بل هي الحال التي حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ يقول: لا يسمع أهل الجنة حسيس النار إذا نزلوا منزلهم من الجنة.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُون﴾ يقول: وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ماكثون فيها، لا يخافون زوالا عنها ولا انتقالا عنها[١].

والمعنى: هؤلاء المؤمنون الصادقون الذين سبقت لهم من خالقهم الدرجة الحسنى، لا يسمعون صوت النار، الذي يحس من حركة لهيبها وهيجانها، لأنهم قد استقروا في الجنة، وصاروا في أمان واطمئنان[٢]، والحسيس صوت يُحسُّ، "أي لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً، كما هو المعهود عند كون المصوِّت بعيداً، وإن كان صوته في غاية الشدّة، لا أنّهم يسمعون صوتها الخفيّ في نفسه فقط"[٣].

ثانياً: القراءات الواردة في الآية:

﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي﴾ قالون عن نافع. قرأ بصلة ميم الجمع وصلاً بخلف عنه[٤].

ثالثاً: النكات البلاغية في الآية:

١- **المبالغة**: في قوله تعالى: «لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها» فن المبالغة ذلك لأن لقائل أن يقول: إذا نزل أهل الجنة منازلهم فيها فأي بشارة لهم في أنهم لا يسمعون حسيسها؟ والجواب انه تأكيد للمبالغة وانها لن تقرب منهم أبدا لأن الذي يكون عن كثب منها يسمع، ولا شك، حسيسها، لأن أهل النار دركات جاءت وفق عدد سكانها وعدد داخليها ووفق عدة معبوداتهم ولذلك قال تعالى في آية أخرى ﴿لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ وسيأتي تفصيل ذلك في سورة الحجر ويروى أن عليا رضي الله عنه قرأ هذه الآية وهي ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ﴾ ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها﴾[٥].

٢- **جاء في لفظة «حَسِيسَها»** من الألفاظ المصورة بجرسها لمعناها. فهو تنقل صوت النار وهي تسري وتحرق، وتحدث ذلك الصوت المفزع. وإنه لصوت يتفزع له الجلد ويقشعر، ولذلك نجي الذين سبقت لهم الحسنى من سماعه – فضلا على معاناته – نجوا من الفزع الأكبر الذي يذهل المشركين. وعاشوا فيما تشتهي أنفسهم من أمن ونعيم. وتتولى الملائكة استقبالهم بالترحيب، ومصاحبتهم لتطمئن قلوبهم في جو الفزع المرهوب، فهؤلاء

---

(١) جامع البيان ت شاكر (١٨/٥٤١) – التفسير البسيط (١٥/٢١٥).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي (٩/٢٥٤).

(٣) إرشاد العقل السليم ٦/٨٧.

(٤) العشر الصغرى – عرض خلافات القراء في سورة الأنبياء الآية – نون للقرآن وعلومه– https://www.nquran.com›.

(٥) إعراب القرآن وبيانه (٦/٣٧١)، الجدول في إعراب القرآن (١٧/٧٥).

الذين سبقت لهم من الله الحسنى، هم مبعدون عن تلك النّار التي يتقلب على جمرها، ولهيبها، الكافرون والضالون، فلا يخلص إلى المؤمنين شيء من حرّها، ولا يصل إلى أسماعهم حسٌّ من زفيرها وشهيقها ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ حتى لا تتأذى مشاعرهم بهذه الأصوات الرهيبة، المفزعة، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ﴾ أي أنهم يلقون في الجنة ما تشتهي أنفسهم، من نعيم دائم لا ينقطع أبدا[1].

رابعاً: مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن ذكر سبحانه هول الموقف، "ودعاء المشركين على أنفسهم بالهلاك في هذا الحين، وشخوص أبصارهم من الحيرة والدّهش مما يشاهدون ويرون- أردف هذا ذكر ما يئول إليه أمرهم بعد الحساب، وأنهم يكونون هم ومعبوداتهم من الأصنام والأوثان، حطبا للنار حين يردونها، وأنهم من شدة العذاب فيها يكون لهم أنين وزفير، حتى لا يسمع بعضهم أصوات بعض، لفظاعة ما هم فيه من العذاب، أما من كتبت له السعادة والنجاة من النار فأولئك يكونون مبعدين عنها لا يسمعون صوت لهيبها، ولا يخافون من أهوالها وآلامها، بل يكونون في نعيم دائم وتستقبلهم الملائكة مهنئين لهم قائلين: هذا يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا"[2].

خامساً: فقه الآية:

١- **الحسيس**: "الصوت وهو بالجملة ما يتأدى إلى الحس من حركة الأجرام وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة؛ لأن الحديث يقتضي أن في الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك إلا جثا على ركبتيه[3].

٢- في قوله تعالى: لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس، وفيه سؤالان: **الأول**: أي وجه في أن لا يسمعوا حسيسها من البشارة ولو سمعوه لم يتغير حالهم. قلنا: المراد تأكيد بعدهم عنها لأن من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها. **السؤال الثاني**: أليس أن أهل الجنة يرون أهل النار فكيف لا يسمعون حسيس النار؟ الجواب: إذا حملناه على التأكيد زال هذا السؤال. **الصفة الثالثة**: قوله: وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون والشهوة طلب النفس للذة يعني نعيمها مؤبد، قال العارفون: للنفوس شهوة وللقلوب شهوة وللأرواح شهوة، وقال الجنيد: سبقت العناية في البداية، فظهرت الولاية في النهاية. **الصفة الرابعة**: قوله: لا يحزنهم الفزع الأكبر وفيه وجوه: **أحدها**: أنها النفخة الأخيرة لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[4] **وثانيها**: أنه الموت قالوا: إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بعث الله تعالى جبريل عليه السلام ومعه الموت في صورة كبش أملح فيقول لأهل الدارين أتعرفون هذا فيقولون: لا فيقول هذا الموت ثم يذبحه، ثم ينادي يا أهل الجنة خلود ولا موت أبدا، وكذلك لأهل النار، واحتج هذا القائل بأن قوله: لا يحزنهم الفزع الأكبر إنما ذكر بعد قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[5]، فلا بد وأن يكون لأحدهما تعلق بالآخر، والفزع الأكبر الذي هو ينافي الخلود هو الموت. وثالثها: قال سعيد بن جبير هو إطباق النار على أهلها فيفزعون لذلك فزعة عظيمة، قال القاضي عبد الجبار: الأولى في ذلك أنه الفزع من النار عند

---

(١) المنجيات من النار (ص: ٦).

(٢) تفسير المراغي (٧٢/١٧).

(٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٠١/٤).

(٤) سورة النمل الآية: (٨٧).

(٥) سورة البقرة الآية: (٢٥).

مشاهدها؛ لأنه لا فزع أكبر من ذلك، فإذا بين تعالى أن ذلك لا يحزنهم فقد صح أن المؤمن آمن من أهوال يوم القيامة، وهذا ضعيف؛ لأن عذاب النار على مراتب فعذاب الكفار أشد من عذاب الفساق، وإذا كانت مراتب التعذيب بالنار متفاوتة كانت مراتب الفزع منها متفاوتة، فلا يلزم من نفي الفزع الأكبر نفي الفزع من النار. **الصفة الخامسة**: قوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال الضحاك: هم الحفظة الذين كتبوا أعمالهم وأقوالهم ويقولون لهم مبشرين: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[(١)،(٢)].

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[(٣)]. هذه الصورة المقابلة لِمَا سيقع في خاتمة الكتاب بعد دمار العالَم وقيام الساعة، وهي تعرض حياة المؤمنين وحالهم عند القيام من القبور، وهذا الكلام يعلم القارئ أن متكلمه إله عظيم، ولا إله سواه، فإنه خطاب الاستعلاء، فإنه حين يذكر عطاءه عليهم يوم القيامة إنما يذكر سبحانه أن الأمر كان في الأزل أمره، وأن الاجتباء كان منه جلَّ في علاه لهؤلاء المؤمنين، فإنه سبحانه هو الذي سبقت منه الحسنى لهم، فما فعلوه في حياتهم الدنيا إنما هو بما سبق في علمه وإرادته من تقدير عمل الصالحات لهم، فهو صاحب الأمر ابتداءً، وهو مجريه على عينه حين وقوعه، وهو المنعم به في خاتمة الأمر، فهو الإله الحق، وهو في هذا الخطاب لا يعرض حال المؤمنين فقط، بل يعرض فعل إلههم الحق كذلك، لأن الصورة السابقة هي عرضٌ للآلهة الباطلة وعابديها، وهؤلاء الذين سبقت لهم الحسنى هم أولئك الذين عرض الله أحوالهم من الأنبياء – عليهم السلام –، ومن هم على هديهم وطريقتهم.

والقرآن يعرض أن أعظم النعم عليهم هو بعدهم عن جهنم، وهذه لعمر الله أعظم النعم، فإن حق العباد على الله إن عبدوه أن لا يعذبهم، وأمّا الجنة فهي زيادةٌ على هذا الحق كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾، وقال بعض أهل العلم هذه الآية استثناء، ذلك بأن الله ذكر في الآية السابقة دخول الآلهة الباطلة جهنم، وقد عبد عيسى وعزير سدد خطاكم وغيرهما، فاستثنوا هؤلاء بهذه الآية، وهو معنى صحيح يدخل في هذه الآية، وإن كانت أعم من ذلك كما ترى، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ هو حالهم بعد دخول الجنة، وأمّا قبل ذلك فالله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ وهذا الذي فَسّره ابن عباس – رضي الله عنهما – وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ وذلك لبيان اتصال النعيم عليهم، فلا يقطع ولا يتحول[(٤)].

٤- ﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيَسَهَا﴾ "أورد ابن رجب- رحمه الله تعالى- في كتابه التخويف من النار عن وهب بن منبه قال إذا سيرت الجبال فسمعت حسيس النار وتغيظها وزفيرها وشهيقها صرخت الجبال كما تصرخ النساء ثم يرجع أوائلها على أواخرها يدق بعضها بعضا، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ

---

(١) سورة الأنبياء الآية: (١٠٣).

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/١٩٠).

(٣) سورة الأنبياء الآيات: (١٠١ – ١٠٣).

(٤) تفسير سورة الأنبياء (ص: ١٨١).

سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾(٢) والشهيق: الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار قال الربيع بن أنس الشهيق في الصدر"(٣).

٥- قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي حس النار وحركة لهبها. والحسيس والحس الحركة. وروى ابن جريج عن عطاء قال قال أبو راشد الحروري لابن عباس: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ فقال ابن عباس: أمجنون أنت؟ فأين قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود:٩٨] وقوله: ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مريم: ٨٦]. ولقد كان من دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما، وأدخلني الجنة فائزا. وقال أبو عثمان النهدي: على الصراط حيات تلسع أهل النار فيقولون: حس حس. وقيل: إذا دخل أهل الجنة لم يسمعوا حس أهل النار وقبل ذلك يسمعون؛ فالله أعلم. ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ أي دائمون وهم فيما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. وقال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾(٤)،(٥).

سادساً: المعنى الاجمالي للآية:

يقول تعالى مخاطبا لأهل مكة من مشركي قريش ومن دان بدينهم من عبدة الأصنام والأوثان: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ قال ابن عباس: أي وقودها يعني كقوله: {وقودها الناس والحجارة} وقال ابن عباس أيضا: حصب جهنم يعني شجر جهنم..... وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ قال عكرمة: الرحمة. وقال غيره السعادة ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله، عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسله، وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله مآبهم وثوابهم، ونجاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب، فقال: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي حريقها في الأجساد.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عمار، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن الحريري عن أبي عثمان ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ قال: حيات على الصراط تلسعهم، فإذا لسعتهم قال حس حس. وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ فسلمهم من المحذور والمرهوب، وحصل لهم المطلوب والمحبوب. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي شريح، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن ليث بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير عن النعمان بن بشير قال: وسمر مع علي ذات ليلة، فقرأ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ قال: أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم وطلحة منهم وعبد الرحمن منهم، أو قال: سعد منهم، قال: وأقيمت الصلاة، فقام وأظنه يجر ثوبه وهو يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾(٦).

(١) سورة الفرقان الآيتان: (١١، ١٢).
(٢) سورة الملك الآيات: (٦: ٨).
(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٣/٤٩).
(٤) سورة فصلت الآية: (٣١).
(٥) تفسير القرطبي – (١١/٣٤٥).
(٦) تفسير ابن كثير/دار الفكر (٣/٢٤١).

الخاتمة:

أحمد الله تعالي وأشكره على ما منَّ الله به عليَّ من إتمام هذا البحث الذي بذلت فيه ما وسعني من قوة، وجهد غير مفرط، ولا مضيع وبعد تلك الرحلة الشيقة نجمل نتائج هذه الدراسة، وأبرز التوصيات وذلك على النحو التالي:

١- تم الوقوف على المعني اللغوي والاصطلاحي للحس فهو القوة التي ترتسم فيها صورة الجزئيات المحسوسة.

٢- ورد لفظ الحس بمعنى الرؤية في قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[١]. ومعناها لما استشعر نبي الله عيسى منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال لهم هذه الآية وإنما طلبوا شهادته له بإسلامهم تأكيدًا لإيمانهم؛ لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم، وعليهم.

٣- الحواريون: "لقب لأصحاب عيسى عليه السلام: الذين آمنوا به ولازموه.

٤- ورد لفظ الحس بمعنى القتل في قول الله ﷻ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] ومعناها تقتلونهم بإذنه يوم أحد، ولكم النصر عليهم حتى إذا فشلتم، يعني ضعفتم عن ترك المركز وتنازعتم في الأمر.

٥- يحذر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين، فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة.

٦- ورد لفظ الحس بمعنى البحث في قول الله ﷻ ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣]، ومعناها تحسسوا: اطلبوه واستخبروا عنه وعن أخيه.

٧- من ازداد علماً بالله لا يمكن أن يدب إليه اليأس مثقال ذرة، فإذا ضعف العلم بالله تبارك وتعالى يمكن أن يصل بعض اليأس إلى القلوب.

٨- التوكل على الغير فيما يقدر عليه ذلك الغير مع اعتماد القلب بكليته على الله تعالى واعتقاد أن ذلك إنما هو "سبب في تحصيل الأمر المطلوب فقط.

٩- ورد لفظ الحس بمعنى الصوت في قول الله ﷻ ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾[٤]، ومعناها هؤلاء المؤمنون الصادقون الذين سبقت لهم من خالقهم الدرجة الحسنى، لا يسمعون صوت النار، الذي يحس من حركة لهيبها وهيجانها.

أهم التوصيات:

١- أُوَصِي نَفْسِي، وَكُلَّ مَنْ يَسْلُك هَذَا الطَّرِيقِ بِتقوَى الله ﷻ، والعَمَل عَلَى مرضَاتِه، واتّبَاع هَدِي النَّبِيّ ﷺ، فإنَّ فِي ذَلك الفَلاحَ والنَّجاح.

(١) سورة آل عمران الآية: (٥٢).
(٢) سورة آل عمران الآية: (١٥٢).
(٣) سورة يوسف الآية: (٨٧).
(٤) سورة الأنبياء الآية: (١٠٢).

٢- ضرورة الاعتصام بالله ﷻ؛ لأنه أساس النصر والتمكين، فما اعتصم أحد بالله إلا ونصره اللهﷻ.

٣- التركيز على الفهم القرآني واستنطاق القرآن في جميع القضايا التي تخص حاضر هذه الأمة ومستقبلها، والجمع بين النص القرآني والواقع.

٤- أُوصِي أن يولي الباحثين اتجاهاتهم، وبحثوهم نحو البحث في كتب التفسير عن الدراسات القرآنية، وعرضها عرضا علميا؛ ليستفيد منها أهل التخصص وغيرهم، فإن بقاءها في بطون كتب التفسير يؤخر الاستفادة منها، أو يقللها.

وفي الختام أسأل الله أن يجعله عملاً متقبلاً نافعًا، فإن الباحثة لا تدعي الكمال لهذه الدراسة، فما هي إلا محاولة متواضعة لإبراز معاني ألفاظ الحس في القرآن الكريم-جمعا ودراسة -، وهذا جهد طالب للصواب، وراغب في الثواب، هذا وإنني قد بذلت جهدي وطاقتي في تحري الدقة والرجوع إلى كل ما أمكنني الرجوع إليه من المصادر والمراجع التي تتعلق بهذا الموضوع، ليخرج البحث في صورة طيبة، فإن كان صواباً فمن الله تعالى، وإن كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، وحسبي أني لم أدخر وسعاً في سبيل ذلك، ولكن طبيعة البشر النقص والتقصير، والكمال لله وحده، ويؤكد هذا المعنى ما قاله العماد الأصفهاني-: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"(١).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

إتحاف الإلف بذكر الفوائد الألف والنيف من سورة يوسف - محمد بن موسى نصر - سليم بن عيد الهلالي - الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م - مكتبة الرشد ناشرون.

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تأليف: أحمد بن محمد ابن أحمد عبد الغنى الدمياطي، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، ط/دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط/الثالثة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

الإتقان في علوم القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط/الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، ط/١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، بدون إشارة لرقم الطبعة.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - عام النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

إعراب القرآن وبيانه- محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ) - دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير- دمشق- بيروت) - الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.

إعلام الموقعين عن رب العالمين - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - تخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد - دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين- (٢٨٨/١).

الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تأليف: الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد (المتوفى: ٧٣٩هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط/دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط/الأولى١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

البحث التربوي وكيف نفهمه - محمد منير مرسي — دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

بحر العلوم - أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي- تحقيق: د. محمود مطرجي - دار الفكر — بيروت بدون.

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، تأليف: عبد الفتاح عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، ط/دار الكتاب العربي- بيروت، لبنان، بدون إشارة للطبعة والتاريخ.

تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبي الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط/دار الهداية، بدون إشارة للطبعة والتاريخ.

التبيان في إعراب القرآن - أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) - المحقق: علي محمد البجاوي عيسى البابي الحلبي وشركاه

التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد-: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر — تونس - هـ بدون.

التعريفات - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)- المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان -الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

تفسير القرآن العظيم - تفسير ابن كثير - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - شهرته: ابن كثير - تحقيق: مصطفى السيد محمد - محمد السيد رشاد - محمد فضل العجماوي - علي أحمد عبد الباقي - مؤسسة قرطبة - مكتبة أولاد الشيخ.

تفسير القرآن العظيم- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم المتوفى: (٣٢٧هـ) - تحقيق أسعد محمّد الطيّب -مكتبة نزار مصطفى الباز —الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة- محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) - تحقيق: د. مجدي باسلوم - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون - تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين - الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة - على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر - الأستاذ الدكتور مأمون حموش - المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش.

تفسير الماوردي -النكت والعيون - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) - تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - دار الكتب العلمية - بيروت/لبنان.

تفسير المراغي - أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر -الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - د وهبة بن مصطفى الزحيلي — دار الفكر المعاصر — دمشق-الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

التفسير الواضح – محمد محمود الحجازي – دار الجيل الجديد – بيروت – الطبعة: العاشرة – ١٤١٣هـ.
التفسير الوسيط للقرآن الكريم . محمد سيد طنطاوي . دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة . الطبعة: الأولى١٩٩٧م.
تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن – الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي – إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي دار طوق النجاة، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
تهذيب اللغة – محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) – المحقق: محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
التوقيف على مهمات التعاريف – المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) – الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة.
الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله- ﷺ- وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط/المطبعة السلفية- القاهرة، مصر، ط/١٤٠٠هـ
جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع-: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) – ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي – المكتبة العصرية، بيروت.
حجة القراءات، تأليف: أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط/مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط/الخامسة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، عدد الأجزاء.
زاد المسير في علم التفسير – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار الكتاب العربي– بيروت الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ.
زهرة التفاسير- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) – دار الفكر العربي – بدون.
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) – تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفاربي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، ط/دار العلم للملايين- بيروت، ط/الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
العشر الصغرى – عرض خلافات القراء في سورة الأنبياء الآية – نون للقرآن وعلومه- https://www.nquran.com،.
القاموس المحيط، تأليف: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط/مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/الثامنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
الكامل في اللغة والأدب، تأليف: محمد بن يزيد المبرد، أبي العباس (المتوفى: ٢٥٨هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط/دار الفكر العربي- القاهرة، ط/الثالثة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد- المنتجب الهمذاني (المتوفى: ٦٤٣هـ) – حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح – الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) - دار الكتاب العربي – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.
الكشف والبيان- لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري- تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الحنفي الكفوي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) - تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري - الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت - الطبعة: الثانية ١٤١٩، ١٩٩٨م.
الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد مصري، ط/مؤسسة الرسالة- بيروت، بدون إشارة للطبعة والتاريخ.
الكنز في القراءات العشر، تأليف: أبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه ابن عبد الله بن علي بن المبارك التاجر الواسطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: خالد المشهدي، ط/مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط/الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
لسان العرب- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى:٧١١هـ).
مباحث في إعجاز القرآن- د مصطفى مسلم –الناشر: دار القلم – دمشق –الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
المبسوط في القراءات العشر، تأليف: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبي بكر (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، ط/مجمع اللغة العربية– دمشق، ط/١٩٨١م بدون إشارة للطبعة.
المجتبى من مشكل إعراب القرآن - أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة - عام النشر: ١٤٢٦هـ.
مجمل اللغة لابن فارس، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط/مؤسسة الرسالة– بيروت، ط/الثانية ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط/دار الكتب العلمية- بيروت، ط/الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
مختار الصحاح، تأليف: زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط/المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت، ط/الخامسة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى: ٢٤١هـ)، أشرف على تحقيقه: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط/الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

المصباح المنير- لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، لبنان.
معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي - محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) - تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش-دار طيبة للنشر والتوزيع -الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
معانى القرآن للأخفش - أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) - تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة- مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
معاني القرآن وإعرابه - إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) - المحقق: عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب – بيروت - الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
معجم مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/دار الفكر- بيروت، ط/١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)- دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
المفردات في غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) – تحقيق- صفوان عدنان الداودي - دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت -الطبعة: الأولى- ١٤١٢هـ.
مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، ط/عيسى البابي الحلبي- مصر، ط/الثالثة بدون إشارة لسنة الطبع.
المُنْجِياتُ مِنَ النَّار- علي بن نايف الشحود - بهانج- دار المعمور- الطبعة: الثالثة، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
الْمُهَذَّبُ النَّقِيّ الجَامِعُ لِتَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرِ الطَّبَرِيّ - (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) إعداد وتهذيب وتعليق: عبد الرحمن القماش - (من علماء الأزهر الشريف).
موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - علي بن نايف الشحود المصدر: الشاملة الذهبية
الموسوعة القرآنية -: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ) مؤسسة سجل العرب - الطبعة: ١٤٠٥هـ.
موقع المعلومات: ١٩١٩٢٢ https://almalomat.com/.
نهاية الوصول في دراية الأصول - صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (٧١٥ هـ) - المحقق: د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد بن سالم السويح.